اللآلئ الحسان

في فضائل

الصيام ورمضان

جمع وترتيب

محمود محمد ساق الله (أبو حمزة)

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الكتاب

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وخليله، أدى الأمانة، وبلغ الرسالة، ونصح الأمة، فكشف الله به الغمة، وتركنا على البيضاء ليلُها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك أو ضال.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران:102).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء:1).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (71)﴾ (الأحزاب).

أما قبل...

فلا بد قبلَ الشروعِ في الخوض والبحث عن اللآلئ الحسان، والمجوهرات الثمان، من نقل حال سلفنا الصالح إذا دنا منهم شهر رمضان، فقد كانوا يستبقون الزمان بدعائهم الله تعالى أن يبلغهم رمضان...

فقد كانوا كما قال معلى بن الفضل: كانوا (أي السلف الصالح) يدعون الله ستة أشهرٍ أن يبلغَهُم رمضان، ثم يدعونه ستة أشهرٍ أن يَتقبَلَه منهم[1].

وقال يحيى بن أبي كثير: كان من دعائهم: اللهم سلِّمني إلى رمضان، وسلِّم لي رمضان، وتسلَّمه مني متقبلاً[2].

يا لله على هذه الهمة التي تناطح الجبال الشامخات، والسحاب في كبد السماء، فقد كانوا من قبل رمضان يدعون ربهم تبارك وتعالى أن يكتب لهم هذا الفضل والإحسان، بأن يدركوا موسم الرحمة والغفران، موسم فتح أبواب الجنان، والعتق من النيران، موسم التجارة الرابحة، والأجور الوافرة، والأوقات العامرة، يتسابقون فيه بالليل والنهار، والجهر والإسرار في طاعة ربِّ الأرضِ والسماوات، فنهارهم صيام، وليلهم قيام، يتلون آيات القرآن، ويحفظون لسانهم عن الغيبة والبهتان، ويرتعون في بستان الطاعات ما بين ذكر وتسبيح، وأوبة وتوبة، وصدقات وزكاة، وجود وعطاء، وبر للوالدين وصلة للأرحام.

لهذا كانت قلوب الصالحين ولا زالت تتلهف لموسم الخيرات في رمضان.

---

[1]- بستان رمضان ص:132.

[2] ثورة ال 90 يوم خالد أبو شادي ص:25.




أما بعد...

فقد كان شهر رمضان ولا زال مبعثاً لكوامن الشعور النبيل، والأفكار النيرة، والأوصاف الحسنة، فكلما هلَّ هلالُ رمضان على العالم الإسلامي كست القلوب أنوار الإيمان ونفحاته، وجادت قرائح العلماء بقطوف دانية من الأقوال والحكم والمواعظ التي تعكس الانفعال الصادق مع الشهر الفضيل، نستنشق عبيرها، ونقطف منها أزاهيرها[3].

فإني أحببت أن أختارَ جملةً من أحاديثِ الرسولِ الكريمِ من بستان نبوته ومشكاتها في فضل خير الشهور على الإطلاق وزينتها شهر رمضان المبارك، وفضائل الصيام الجَمَّة، مع بيانٍ وشرحٍ للأحاديث لما فيها من الفضائل والخيرات والبركات، لهذه الدرر المكنونة واللآلئ المنثورة والفضائل الجَمَّة، وزَيَّنْتُ ذلك بكلامِ العلماء، وبلاغةِ البلغاء، وحكمِ الأتقياء.

وقد أسميته: "اللآلئ الحسان في فضائل الصيام ورمضان".

وجعلت ذلك في بابين:

الباب الأول: أحاديث في فضل شهر رمضان.

الباب الثاني: أحاديث في فضل الصيام.

فالله أسألُ أن تكون هذه الكلمات التي رتبتها وجمعتها وقوداً لهمة الصائمين، وتحفيزاً لهم على الصيام وسائر العبادات، ودافعاً لهم لحسن استقبالهم لضيف الله المبارك ألا وهو شهر رمضان.

"والْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ"

---

[3]- بستان رمضان ص:27، بتصريف بسيط.

من بداية المطاف أقول لك مخاطباً

سَلِّمْ نفسك...

سلم نفسك فالمكان محاصر ولا مجال للهروب، نداء نسمعه من الجهات الأمنية المختصة، حين تحاصر مكاناً يوجد بداخله مطلوب فتنادي به على من ارتكب محظوراً أو خالف مأموراً.

ولربما أخي الكريم تَبَادَرَ إلى ذِهْنِكَ بعدَ جملة النداءِ هذه مجموعة من الأسئلة منها:

لمن أُسَّلِمُ نفسي؟ وما الأمر؟ وما هي خلفية الاتهام يا ترى؟ وهل المقصود أنا بالذَّات؟، أسئلة سرعان ما تتوارد إلى ذهنك.

والجواب عليها هو ما ستجده مكتوباً من خلال قراءتك للأسطر التالية:

سَلِّم نفسك لشهر رمضان استجابة لنداء الرحمن: **﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا﴾** ليصبِغَكَ بصبغةِ الإيمان، على طريق النبي العدنان ﷺ.

سَلِّم نفسك لشهر رمضان فلا فائدة من الفرار، فقد كَتَبَ ربُ الأربابِ على العبادِ أن يصوموا شهراً كاملاً، فقال العزيزُ الوهابُ في محكم الكتاب: **﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الذِينَ مِنْ قَبْلِكُم﴾** وقال: **﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُم الشَهرَ فليَصُمْهُ﴾**.

سَلِّم نفسك لشهر رمضان فهو المنحة الإلهية، والمدرسة الربانية، والجهةُ الرسميةُ من ربِ البرية، ليعُودَ بك إلى الطريق السوية، ويُقَوِّم النفس البشرية على هدي السنة النبوية.

سَلِّم نفسك لشهر رمضان ليغسلها لك مِمَا عَلِقَ بها من ذُنُوبٍ وآثامٍ طوالَ العام، وما من دواء أفضل لدائِها من كلام الكريمِ المنانِ: ﴿شَهرُ رَمَضانَ الذي أُنْزِلَ فِيهِ القُرآن هدًى للنَّاسِ وَبَيِنَاتٍ مِن الهدى والفُرْقَان﴾.

سَلِّم نفسك لشهر رمضان فالمصلحة لك، والفائدة عائِدَةٌ عليك، فالذنبُ فيه مغفورٌ، والعفو فيه مأمول، وما خَسِرَ فيه إلا مَخذول، وما تَكاسَل فيه إلا مَنكُوس مَخمُول.

سَلِّم نفسك لشهر رمضان لتطفو فوق نفحاته، لتأخذكَ أمواجُ حسناتِه، ويحملك بيُسر طاعته، ويلقي عليك بركاتِهِ، لترسو سفينتُك على شاطئ بحر الإيمان، ولتنزل سالماً غانماً، ولتحط رحالك على ضفاف الفردوس الأعلى.

سَلِّم نفسك لشهر رمضان لندخلَه جميعاَ **﴿إن شَاءَ الله آمِنِينَ﴾**، بهتاف: **﴿وقُل رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدقٍ واجْعَل لِي مِن لدُنك سُلطاناً نَصِيرًا﴾**.

قف بالباب وقل كما قال إخوة يوسف: **﴿جِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزجَاةٍ فَأَوفِ لَنَا الكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾**، ليكون الجواب الفوري والرد العاجل: **﴿لا تَثرِيبَ عَلَيْكُم اليَومَ يَغْفِرُ الله لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الراحِمِين﴾**.

سَلِّم نفسك لشهر رمضان يُغفرُ الذنبُ، وتُكفرُ الخطيئة، وتمحى الحوبة، وتقبل التوبة، وتنزل البركة، وتغشاك السكينة، وتصبح وتمسي في أيدي أمينة.

سَلِّم نفسك لتتسلمها بعد انتهاء شهر رمضان بيضاء نقية، لتبلغ الغاية، ولتصل للهدف، ولتحقق المقصد **﴿لَعَلَّكُمْ تَتَقُون﴾**.

سؤالٌ يطرح نفسه... لماذا شرع الله الصيام على عباده؟

إن هذا السؤال سرعان ما يتوارد إلى أذهان كثير من الناس دائماً وبالأخص عند حلول شهر رمضان المبارك...

وتختلف الإجابة عليه باختلاف مشارب الناس وحبهم لدينهم وقربهم منه، فلم يشرع الله تعالى على عباده فريضة الصيام ليعذبهم من خلالها بمنعهم من الطعام والشراب والزاد، أو عن بعض المباحات التي أحلها لهم، بل شرع الله تعالى الصيام لحكم ساميةٍ، وفضائلَ عظيمةٍ، وفوائد جسيمةٍ، منها ما هو دينيٌّ ايمانيٌّ، ومنها ما هو أخلاقيٌّ تربوي، ومنها ما هو اجتماعيٌّ، ومنها ما هو صحي.

وقبل الولوج في سرد الحكم أحب أن أسرد لكم ما أورده أحمد شوقي قائلاً: الصوم حرمان مشروع، وتأديب بالجوع، وخشوع لله وخضوع، لكل فريضة حكمة، وهذا الحكم ظاهره العذاب وباطنه الرحمه، يستثير الشفقة، ويحض على الصدقة، ويكسر الكِبْر، ويُعَلِّم الصبر، ويسن خلال البر، حتى إذا جاع من ألف الشبع، وحرم المترف أسباب المتع، عرف الحرمان كيف يقع، وألم الجوع إذا لذع[4].

[4]- رمضان بين يديك ص:43، بستان رمضان ص:30.




إذاً شرع الصيام...

لحكمٍ دينيةٍ إيمانيةٍ:

منها: تحقيق التقوى...

فالصيام يُوجِدُ في النفس ملكَةَ التقوى ويربيها، وبخاصة التقوى التي هي العلة البارزةُ من الصوم[5].

قال تعالى: ﴿يَا أيُّهَا الذين آمَنُوا كُتِبَ عليْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الذين مِنْ قَبْلِكُم لعَلَّكُم تَتَّقُون﴾[6].

قيل: "تتقون" المعاصي بسبب هذه العبادة، لأنها تكسر الشهوة وتضعف دواعي المعاصي[7]، فالصوم يحقق معنى التقوى لله عز وجل[8].

والتقوى على مراتب ثلاث:

أولها: حمية القلب والجوارح عن الآثام والمحرامات.

الثانية: حميتها عن المكروهات.

الثالثة: الحمية عن الفضول وما لا يعني.

فالأولى تعطي العبد حياته، والثانية تفيد صحته وقوته، والثالثة تكسبه سروره وفرحه وبهجته[9].

5- منهاج المسلم ص:232.
6- سورة البقرة الآية:183.
7- فتح القدير (180/1).
8- مع الله للدكتور سلمان العودة ص:240.
9- من الطارق أنا رمضان ص:23.




قال الإمام الكاساني _رحمه الله_: الصوم وسيلة على التقوى، لأنَ نفسَ الإنسان إذا انقادت للامتناع عن الحلال طمعاً في مرضاة الله تعالى وخوفاً من أليم عقابه فالأولى أن تنقاد عن الامتناع عن الحرام[10].

قال محمد علي الحركان:

وما أيسر للنفس التي امتنعت عن الطعام والشراب والشهوات طلباً لمرضاة الله تعالى، وخوفاً من أليم عقابه أن تتمرن على الامتناع عن الحرام الذي هي غنية عنه، وتبعد عنه كل البعد[11].

فالصيام تهذيب لا تعذيب، فإذا لم يُؤْتِ ثمرَتَه النافعة فليسَ النقص منه، إنما النقص من سوء تصرف الصائم، وعدم صحة قلبه وطهارة ضميره، وعدم حسن تفكيره[12].

قال سيد قطب _رحمه الله_ في كتابه (في ظلال القرآن)[13]: وهكذا تبرز الغاية الكبيرة من الصوم، إنها التقوى، فالتقوى هي التي تستيقظ في القلوب، وهي تؤدي هذه الفريضة، طاعةً لله وإيثاراً لرضاه، والتقوى هي التي تحرس هذه القلوب من إفساد الصوم بالمعصية، ولو تلك التي تهجس في البال...

والمخاطبون بها في القرآن يعلَمُون مقام التقوى عند الله، ووزنها في ميزانه، فهي غاية تتطلع إليها أرواحهم، وهذا الصوم أداة من أدواتها، وطريق موصلٌ إليها، ومن ثَمَّ يرفعها السياق أمام عيونهم هدفاً وضيئاً يتَّجِهُون إليه عن طريق الصيام. اهـ

[10]- العبادة وآثارها النفسية والاجتماعية ص:90.
[11]- بستان رمضان ص:33.
[12]- كنوز رياض الصالحين (15/15).
[13]- في ظلال القرآن (168/1).




ومنها مراقبة الله تعالى...

فأعظم آثار الصوم شأناً، وأنصعها برهاناً، وأعلاها خطراً، ما يتركه في نفس العبد من مراقبةٍ لمولاه[14].

فالعبد لربما يخلو في مكان لا يراه أحد من البشر، ولكنه أيضاً يبقى على صيامه لا يأكل ولا يشرب، ولا يرتكب ما لا يباح له في نهار رمضان لأنه مستشعر نظر الله إليه وإطلاعه عليه، فهو يتدرَّج في مقام الإحسان الذي قال عنه النبي العدنان ﷺ: "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لَمْ تكن تراه فإنه يراك"[15].

منها: رضا الله تعالى...

لما عَلِمَ المُؤمن الصائم أن رضا الله في ترك شهواته، قدم رضا الله على هواه، فصارت لذته في ترك شهوته لله، لإيمانه بإطلاع الله عليه، وثوابه وعقابه أعظم من لذته في تناولها في الخلوة، إيثاراً لرضا ربه على هَوى نَفْسِه، بَل المؤمن يكره ذلك في خلوته أشد من كراهته لألم الضرب[16].

ولهذا كثير من المؤمنين لو ضُربَ على أن يُفْطِرَ في شهرِ رمضان لغير عذر لم يفعل، لعلمه لكراهة الله لفطره في هذا الشهر، وهذا من علامات الإيمان، أن يكره المؤمن ما يلائمه من شهواته إذا علم أن الله يكرهه، فتصير لذته فيما يرضى مولاه وإن كان مخالفا لهواه، ويكون ألمه فيما يكره مولاه وإن كان موافقا لهواه، وإذا كان هذا فيما حرم لعارض الصوم من الطعام والشراب ومباشرة النساء فينبغي أن يتأكد ذلك

---

[14] صحيح وصايا الرسول ﷺ شرح 200 وصية (467/1).

[15] - صحيح.

[16] - لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف ص:220-221.




فيما حرم على الإطلاق: كالزنا وشرب الخمر وأخذ الأموال أو الأعراض بغير حق وسفك الدماء المحرمة، فإن هذا يسخط الله على كل حال وفي كل زمان ومكان...

فإذا كَمُلَ إيمان المؤمن كره ذلك كله أعظم من كراهته للقتل والضرب، ولهذا جعل النبي ﷺ من علامات وجود حلاوة الإيمان: "أن يكره أن يرجع إلى الكفر بعد أن أنقذه الله كما يكره أن يلقى في النار" كما في الحديث المتفق عليه[17].

ومنها: عبادة الله، والخضوع له...

ليكون الصائم مُقْبلاً على الله تعالى، خاضعاً خاشعاً بين يديه، حينما ينكر سلطان الشهوة[18].

فإن القوة تغرى بالطغيان والبطر قال تعالى: **﴿كَلاَّ إِنَّ الإنسانَ لَيَطْغَى أَنْ رآهُ استغنى﴾**[19]، فليعلم أنه ضعيف فقير، بين يدي الله حينما يَرى ضعفه وعجزه فيُنْكِرُ في نفسه الكِبْرَ والعَظَمَة، فيَسْتَكِينُ لربِّه، ويَلِينُ لِخلقه[20].

قال المناوي _رحمه الله_:

وإنما شُرِع الصوم كسراً لشهوات النفوس وقطعاً لأسباب الاسترقاق والتعبد للأشياء، فإنهم لو داموا على أغراضهم لاستعبدتهم الأشياء، وقطعتهم عن الله، والصوم يقطع أسباب التعبد لغيرة، ويورث الحرية من

---

[17]- المرجع السابق ص:221.
[18]- تيسير العلام شرح عمدة الأحكام 395/1.
[19]- سورة العلق الآية:6.
[20]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.




الرِّق، لأن المراد من الحرية أن يملك الأشياء ولا تملكه، لأنه خليفة الله في ملكه، فإذا ملكته فقد قَلَبَ الحكمة، وصيَّر الفاضل مفضولاً، والأعلى أسفل...

والهوى إلهٌ معبود، والصوم يورث قطع أسباب التعبد لغيره[21].

قال الزرقاني _رحمه اللَّه_: شُرع الصيام لفوائد، أعظمها كسر النفس، وقهر الشيطان، فالشبع نهر في النفس يرده الشيطان، والجوع نهر في الروح ترده الملائكة[22].

فإن من امتلأ بطنه انتكست بصيرته، وتشوشت فكرته، لِمَا يستولي على معادن إدراكه من الأبخرة المتصاعدة من معدته إلى دماغه فلا يتأتى له نظر صحيح، ولعله يقع في مداحض فيزيغ عن الحق[23].

قال ابن رجب _رحمه الله_: وخلو الباطن من الطعام والشراب ينور القلب، ويوجب رقته، ويزيل قسوته، ويخليه للذكر والفكر[24].

قال الغزالي _رحمه الله_:

في جوع الجسم صفاء القلب، وايقاد القريحة، وانفاذ البصيرة، لأن الشبع يورث البلاده، ويعمي القلب، ويكثر الشجار في الدماغ، فيَتَبلد الذهن، والصبي إذا ما كثر أكله، بطل حفظه، وفسد ذهنه... فأحيوا قلوبكم بقلة الضحك، وقلة الشبع، وطَهِّروها بالجوع تصفُ وترق[25].

---

[21]- من الطارق أنا رمضان ص:32.
[22]- شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك 224/2.
[23]- فتح القريب المجيب على الترغيب والترهيب 625/5.
[24]- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف ص:223.
[25]- بستان رمضان ص:29.

فـإن الشـبع والـري ومباشـرة النسـاء تحمـل الـنفس علـى الأشـر (الاستكبار) والبطر والغفلة[26].

لحكمٍ أخلاقةٍ تربويةٍ:

ومنهـا: حكـم أخلاقيـة تَربوِيـة، فهـو يعلِّـم الصـبر والتحمـل، ويقـوي العزيمـة والإرادة، ويُمَـرِّن علـى ملاقـاة الشـدائد وتـذليلها، والصـعاب وتـهوينها[27].

قال العالم الجليل أبو الأعلى المودودي _رحمه الله_:

فـإذا جـاء شـهر رمضـان أظـل المجتمـع المسلمَ كلـه جـو الطـهارة والنظافـة، والإيمـان وخشـية الله ودماثـة الأخـلاق وحسـن الأعمـال، وبـدأ الصـالحون مـن عبـاد الله يتعـارفون فيمـا بيـنهم علـى أعمـال البـر والإحسان[28].

قـال محمـد الفيـومي: بالصـوم تصـبح الأمانـة سلوكاً فـي حيـاة الفـرد، وعادة متأصلة ينعكس أثرها على المجتمع[29].

قال محمد علي الحركان: فالصـيام يُعَـوِّدُ الـنفس الكـف عن المعاصـي، ويربي في الإنسان الفضائل والإخلاص والصبر على الشدائد والأمانة[30].

[26]- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف ص:223.
[27]- تيسير العلام شرح عمدة الأحكام 396/1.
[28]- مبادئ الإسلام نقلاً عن كتاب العبادة وآثارها النفسية والاجتماعية ص:91.
[29]- بستان رمضان ص:38.
[30]- المرجع السابق ص:33.




لحكمٍ اجتماعيةٍ:

هو شعارٌ للأمة الإسلامية في اتحاد السلوك، ولمدة شهر كامل، تتعزز به روابط الأخوة الإسلامية[31].

ومنها: الاجتماع على عبادة واحدة، في وقت واحد، وصبرهم جميعاً، قويهم وضعيفهم، شريفهم ووضيعهم، غنيهم وفقيرهم، على معاناتها وتحملها، مما يسبب ربْطَ قلوبهم وتآلف أرواحهم، وَلَمِّ كلمتهم، وليس شيء أقوى من هذه الإرادة المتينة، التي لا تحكمها أقوى الدعايات[32].

وإنَّ الصوم يُعَوِّدُ الأمة...

النظام والإتحاد...

وحب العدل والمساواة...

ويُكَوِّنُ في المؤمنين عاطفة الرحمة وخلق الإحسان....

كما يَصُونُ المجتمع من الشرور والمفاسد[33].

منها: ليشعرَ الغنيُ بالفقير...

قال الزرقاني _رحمه الله_: أن الغنيّ يعرف قدر نعمة الله عليه بإقداره على ما منع منه كثيرًا من الفقراء، من فضول الطعام والشراب والنكاح، فإنه بامتناعه من ذلك في وقت مخصوص، وحصول المشقّة له بذلك يتذكّر به من مُنِع ذلك على الإطلاق...

[31]- الإحسان في ضوء الكتاب والسنة النبوية (793/1).
[32]- تيسير العلام شرح عمدة الأحكام (396/1).
[33]- منهاج المسلم ص:232.




فيوجب ذلك شكر نعمة اللَّه عليه بالغنى، ويدعوه إلى رحمة أخيه المحتاج، ومواساته بما يمكن من ذلك[34].

سئل يوسف _عليه السلام_ لِمَ تصوم وأنت على خزائن الأرض؟ قال: أخاف أن أشبع فأنسى الجائع[35].

كما أنه سبب عطف بعضهم على بعض، ورحمة بعضهم بعضاً، حينما يُحِس الغنَي ألم الجوع ولَدْغَ الظَّمأ، فيتذكر أن أخاه الفقير يعاني هذه الآلام دَهْرَه كله، فيجود عليه من ماله بشيء يزيل الضغائن والأحقاد، ويحل محلها المحبة والوئام، وبهذا يتم السِّلْمُ بين الطبقات[36].

لحكمٍ صحيةٍ:

كما في حديث: "صوموا تصحوا"[37].

قال ابن القيم _رحمه الله_: وله تأثيرٌ عجيبٌ في حفظِ الصحة، وإذابةِ الفضلات، وحبس النفس عن تناول مؤذياتها، ولا سيما إذا كان باعتدال وقصد في أفضل أوقاته شرعاً، وحاجة البدن إليه طبعاً[38].

فإن المعدة بيتُ الداء، والحمية رأس الدواء، ولابد للمعدة أن تأخذ فترة استراحة واستجمام، بعد تعب توالي الطعام عليها، واشتغالها بإصلاحه[39].

34- شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك (224/2).
35- من وصايا الرسول ﷺ (285/1).
36- تيسير العلام شرح عمدة الأحكام (396/1).
37- ضعيف، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة (75/1).
38- الطب النبوي، نقلاً عن كتاب موسوعة الخطباء والمرشدين (559/2).
39- تيسير العلام شرح عمدة الأحكام (395/1).




فهو يُطَهِّرُ الأمعاءَ، ويُصلحُ المعدةَ، ويُنَظِّفُ البدنَ من الفضلات والرواسب، ويُخَفِّف وَطأة السِّمَنِ وثقلِ البطن بالشحم[40].

يقول المثل الروماني القديم: "المعدة العامرة لا تحب أن تفكر"، وإذا كانت البطنة تذهب بالفطنة، فإنَّ الصوم يقوي الفطنة ويُحسِّنَ نشاطَها[41].

وهناك أمراض تصيب القلبَ لا تُعَدُّ ولا تُحصى، وهناك أمراض متفشية تصيب الأوعية الدموية، هناك أمراض كثيرة تُصيب المَعِدة والأمعاء، أمراض تصيب الكبد، وأمراض تصيب جهاز البول، هذه الأجهزة الخطيرة يكون الصيام وقاية لها[42].

وللصومِ فوائد صحية تعود بالنفع على جميع أجهزة الجسم، وهو علاج طبيعي لكثير من الأمراض، منها:

اضطرابات الأمعاء المزمنة، المصحوبة بتخمير في المواد الزلالية والنشوية.

زيادة الوزن الناشئ عن كثرة الأكل وقلة الحركة.

زيادة الضغط، البول السكري، أمراض القلب، التهاب المفاصل، وبعض أمراض الجلد.

فالصيام كما يقول العلماء: "هو إلى الطب الوقائي أقرب منه إلى الطب العلاجي"[43].

[40]- منهاج المسلم ص:232.
[41]- رمضان بين يديك ص:214.
[42]- موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة (75/1) بتصريف واختصار.
[43]- المرجع السابق (76/1).

الباب الأول

أحاديث في فضل شهر رمضان

عرَّف الله عبادَه شهرَهُم بأجمل تعريف، وشَوَّق اللقاء إليه بكل معنىً لطيف، فحلَّاه من نعيم الفضائل، ونَسِيم الجمائلِ ما لا يخطر على بال، فهل طرق سمعك من مِثل هذا الفضل مما أخبرنا به نبينا ﷺ[44].

فما أكثر الهدايا التي اصطحبها رمضان معه اليوم حين جاءنا زاراً وما أغلاها، وما سال المداد على هذه الصفحات إلا تذكيراً بهذه الهدايا لتظل محفورة في الذهن نابضة في القلب، بادية على الجوارح، تسعى في شكرها برَّاً، وتعمل على رده الجميل علانيةً وسراً[45].

الحـــديـــــــث الأول:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " أتاكم رمضان، شهر مبارك، فرض الله عز وجل عليكم صيامه، فيه تفتح أبواب السماء، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه مردة الشياطين، لله فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم"[46].

الحـــديـــــــث الثاني:

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب، وينادي مناد يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة"[47].

[44]- تراتيل رمضانية في فقه القدوم على الله تبارك وتعالى ص:17.
[45]- من الطارق أنا رمضان ص:14.
[46]- صححه الألباني في صحيح النسائي.
[47]- رواه الترمذي وابن ماجة وصححه الألباني.




الحـــديـــــــث الثالث:

وعن أبي هريرة ﵁، أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قالَ: "إِذا جَاءَ رَمَضَانُ، فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الجنَّةِ، وغُلِّقَت أَبْوَابُ النَّارِ، وصُفِّدتِ الشياطِينُ"[48].

شرح الأحاديث الثلاثة لما ورد فيها من اللآلئ الحسان:

اللؤلؤة الأولى: أتى رمضان

قوله ﷺ: " أتاكم رمضان، شهر مبارك"

قال بعض العلماء: هذا الحديث أصل في تهنئة الناس بَعْضُهُم بَعْضاً بشهرِ رَمضان[49].

وجاء في الحديث عن أبي سعيد الخدري ﵁ أن النبي ﷺ قال: "أتاكم رمضان سيد الشهور، فمرحباً به وأهلاً"[50].

فشهرُ رمضان شهرُ الخير الذي ينتظره المسلمون كلَّ عامٍ ببالغ الشوق، والله سبحانه وتعالى الذي خلق الشهور وجعلها اثني عشر شهراً، وفضل بعضها على بعض، وخصَّ رمضان من بينها بهذه الخصائص، فكان أعظمها خيراً وبركةً على المسلمين[51].

فهاهو يَطْرُق بَابَك، فَقمْ وأشْعِل مَصابيح البَهجةِ والفَرحْ، وزين القلوبَ والدارَ واطردِ التَّرح[52].

---

[48]- متفق عليه.
[49]- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف ص:212.
[50]- ضعيف: أخرجه البزار، وضعفه العلامة الألباني في ضعيف الجامع، لطائف المعارف ص:213.
[51]- كنوز رياض الصالحين (46/15).
[52]- تراتيل رمضانية في فقه القدوم على الله تبارك وتعالى ص:31.




ولله دَرُّ من قال:

أتى رمضانُ مَزرعَةُ العِباد لتَطْهيرِ القُلوبِ من الفسادِ
فأدِّ حقوقَه قولاً وفعلاً وزادكُ فاتَّخذه إلى الْمعَادِ
فمن زَرعَ الْحُبوبَ وما سقاها تأوَّه نادماً يومَ الْحَصادِ

فيا من طالت غَيْبَتُه عنا، قد اقتربت أيام المصالحة، يا من دامت خسارته قد أقبلت أيام التجارة الرابحة، فمن لم يربح في هذا الشهر ففي أي شهر يربح؟! ومن لم يقرب فيه من مولاه فهو على بعده لا يبرح[53].

روي عن عمر بن الخطاب أنه كان يقول إذا دخل شهر رمضان: مرحباً بِمُطَهِرنَا، فرمضان خير كله، صيام نهاره، وقيام ليله، والنفقة فيه كالنفقة في سبيل الله[54].

قال عبد العزيز بن مروان:

كان المسلمون يقولون عند حلول رمضان:

اللهم قد أظلنا شهر رمضان وحضر، فسلمه لنا وسلمنا له...

وارزقنا صيامه وقيامه، وارزقنا فيه الجِدَّ والإجتهاد...

والقوة والنشاط، وأعذنا فيه من الفتن[55].

[53]- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف ص:214
[54]- تنبيه الغافلين ص: 220.
[55]- بستان رمضان ص:132.




هَبَّت اليوم على القلوب نفحة من نفحات نسيم القرب، سعى سمسار المواعظ للمهجورين في الصلح، وصَلَت البشارة للمنقطعين بالوصل، وللمذنبين بالعفو، والمستوجبين النار بالعتق[56].

لله في أيام دهرنا نفحاتُ — من دهرنا تزكو بها الأوقات[57]

سبب تسمية شهر رمضان بهذا الإسم؟

قال ابن دريد: أن الناس القدامى عندما نقلوا أسماء الشهور صادف شهر رمضان أيام (رمضٍ) أي حرارة شديدة، لذا سمي شهر رمضان[58].

فـ (رمضان) مأخوذٌ من رَمَض الصائم يَرمِضُ: إذا حَرَّ جَوفُهُ من شدة العطش[59].

قال أحد العلماء: بأن رمضان يرمض الذنوب أي يحرقها، بما يتم فيه من الأعمال الصالحة[60].

وقيل: لأن القلوبَ تأخذُ من حرارة الموعظة والتفكير في أمر الآخرة كما يأخذ الرمل والحجارة من حرِّ الشمس[61].

من أسماء رمضان:

لشهر رمضان المبارك في الإسلام أسماء كثيرة بلغت الستين عدداً منها: شهر الله، شهر القرآن، وشهر الغفران، وشهر الرحمة، وشهر

56- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف ص:233.
57- تراتيل رمضانية في فقه القدوم على الله تبارك وتعالى ص:31.
58- بستان رمضان ص:131.
59- تراتيل رمضانية في فقه القدوم على الله تبارك وتعالى ص:105.
60- بستان رمضان ص:131.
61- من وصايا الرسول ﷺ (257/1).




العتق من النار، وشهر الله، وشهر الآلاء، وشهر النجاة، وشهر الصبر، وشهر المواساة، وشهر الخير، وشهر البركات والخيرات، وشهر إجابة الدعوات، وشهر إقالة العثرات، وشهر الإفاضات والنفحات، وشهر مضاعفة الحسنات، وشهر التوبة، وشهر الإحسان، وشهر العودة إلى الله.

وفي عهد رسول الله ﷺ كان يسمى: "المرزوق" أي المرزوق أهله من الخيرات والفيوضات[62].

مثل شهر رمضان بين الشهور:

قيل: إنَّ مثل رمضان في الشهور كمثل القلب في الصدر، وكالأنبياء في الأنام، وكالحرم في البلاد...

فالحرم يمنع منه الدجال اللَّعِين وشهر رمضان تصفد فيه الشياطين، وتكون الأنبياء شفعاء للمجرمين وشهر رمضان شفيع للصائمين، والقلب مزينٌ بنورِ المعرفةِ والإيمانِ وشهر رمضان مزينٌ بنورِ تلاوةِ القرآن[63].

وقيل: الشهور الإثنا عشر كمثل أولاد يعقوب عليه وعليهم السلام، وشهر رمضان بين الشهور كيوسف بين إخوته، فكما أن يوسف أحب الأولاد إلى يعقوب، كذلك رمضان أحب الشهور إلى علام الغيوب[64].

نُكَتٌ فِي ذَلِكَ...

نُكْتَةٌ حَسَنَةٌ لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ إنْ كَانَ فِي يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْحِلْمِ وَالْعَفْوِ مَا غَمَرَ جَفَاْهَم حِينَ قَالَ: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ فَذَلِكَ شَهْرُ

[62]- بستان رمضان ص:134، من وصايا الرسول ﷺ (257/1).
[63]- رمضان بين يديك ص:22.
[64]- بستان الواعظين ورياض السامعين ص:234.

رَمَضَان فِيهِ مِنَ الرَّأْفَةِ وَالْبَرَكَاتِ، وَالنِّعْمَةِ وَالْخَيْرَاتِ، وَالْعِتْقِ مِنَ النَّارِ وَالْغُفْرَانِ مِنَ الْمَلِكِ الْقَهَّارِ مَا يَغْلِبُ جَمِيعَ الشُّهُورِ وَمَا اكْتَسَبْنَا فِيهِ مِنَ الآثَامِ وَالْأَوْزَارِ .

نُكْتَةٌ حَسَنَةُ الْإِشَارَةِ فِيهِ...

جَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُعْتَمِدِينَ عَلَيْهِ فِي سَدِّ الْخَلَلِ، وَإِزَاحَةِ الْعِلَلِ، بَعْدَ أَنْ كَانُوا أَصْحَابَ الْخَطَايَا وَزَلَلٍ، فَأَحْسَنَ لَهُم الإِنْزَالَ، وَأَصْلَحَ لَهُم الْأَحْوَالَ، وَبَلَّغَهُم غَايَةَ الآمَالِ، وَأَطْعَمَهُم فِي الْجُوعِ، وَأَذِنَ لَهُم فِي الرُّجُوعِ، **﴿وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا﴾** فَسَدَّ الْوَاحِدُ خَلَلَ أَحَدَ عَشَرَ...

كَذَلِكَ شَهْرُ رَمَضَانَ وَاحِدٌ، وَالشُّهُورُ أَحَدَ عَشَرَ، وَفِي أَعْمَالِنَا خَلَلٌ، وَأَيُّ خَلَلٍ وَتَقْصِيرٍ، وَأَيُّ تَقْصِيرٍ وَتَفْرِيطٍ فِي طَاعَةِ الْعَلِيمِ الْخَبِيرِ.

وَنَحْنُ نَرْجُو أَنْ نَتَلَافَى فِي شَهْرِ رَمَضَانَ مَا فَرَّطْنَا فِيهِ فِي سَائِرِ الشُّهُورِ وَنُصْلِحُ فِيهِ فَاسِدَ الْأُمُورِ، وَيَخْتِمُهُ عَلَيْنَا بِالْفَرَحِ وَالسُّرُورِ، وَنَعْتَصِمُ فِيهِ بِحَبلِ الْمَلِكِ الْغَفُورِ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى بِمَنِّهِ وَإِحْسَانِهِ وَعَفْوِهِ وَغُفْرَانِهِ، إِنَّه سَمِيعٌ بَصِيرٌ وَهُوَ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ[65].

وَإِشَارَة أُخْرَى...

كَانَ لِيَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَحَدَ عَشَرَ وَلَدًا ذُكُورًا، وَبَينَ يَدَيْهِ حَاضِرِينَ، يَنْظُرُ إِلَيْهِم وَيَرَاهُم، وَيَطَّلِعُ عَلَى أَحْوَالِهِم وَمَا يَبْدُوا مِنْ أَفْعَالِهِم، وَلَمْ يَرْتَدَّ بَصَرُه بِشَيْءٍ مِنْ ثِيَابِهِمْ، وَارْتَدَّ بِقَمِيصِ يُوسُف بَصِيرًا، وَصَارَ بَصَرُه

[65]- بستان الواعظين ورياض السامعين ص:234-235.




مُنِيرًا، وَصَارَ قَوِيًّا بَعْدَ الضَّعْفِ، بَصِيرًا بَعْدَ الْعَمَى، فَكَذَلِكَ الْمُذْنِبُ العَاصِي إِذَا شَمَّ رَوَائِحَ رَمَضَانَ، وَجلَسَ فِيهِ مَعَ الْمَذَكِّرِينَ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، وَصَحِبَهُم بِشَرْطِ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ، وَتَرْكِ الْغِيْبَةِ وَقَوْلِ الْبُهْتَانِ، يَصِيرُ إِنْ شَاءَ اللهُ مَغْفُورًا لَهُ بَعْدَ مَا كَانَ عَاصِيًا، وَقَرِيبًا بَعْدَ مَا كَانَ قَاصِيًا، يَنْظُرُ بِقَلْبِهِ بَعْدَ الْعَمَى، وَيَسْعَدُ بِقُرْبِهِ بَعْدَ الشَّقَا، وَيُقَابَلُ بِالرَّحْمَةِ بَعْدَ السُّخْطِ، وَيُرْزَقُ بِلَا مَؤُونَةٍ وَلَا تَعبٍ، وَيُوَفَّقُ طُولَ حَيَاتِهِ، وَيُرْفَقُ بِقَبْضِ رُوحِهِ عِنْدَ الْوَفَاةِ، وَيُفَضَّلُ بِالْمَغْفِرَةِ عِنْدَ اللِّقَاءِ، وَيَحْظَى فِي الْجِنَانِ بِدَرَجَاتِ الالْتِقَاءِ.

فَاللهَ اللهَ- اغْتَنِمُوا هَذِهِ الْفَضِيلَةَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْقَلِيلَةِ، تَعْقُبُكُم النِّعْمَةُ الْجَزِيلَةُ، وَالدَّرَجَةُ الْجَلِيلَةُ، وَالرَّاحَةُ الطَّوِيلَةُ إِنْ شَاءَ اللهُ.

هَذِهِ وَاللهِ الرَّاحَةُ الْوَافِرَةُ، وَالْمَنْزِلَةُ السَّائِرَةُ، وَالْحَالَةُ الرَّضِيَّةُ، وَالْجنَّةُ السّرِيَّةُ، وَالنِّعْمَةُ الْهَنِيَّةُ، وَالْعِيشَةُ الرَّضِيَّةُ، لَا تُنَالُ إِلَّا بِالْوَقَارِ لِهَذَا الشَّهْرِ الَّذِي عَظَّمَهُ الْجَبَّارُ، وَفُضِّلَ بِهِ مُحَمَّدٌ الْمُخْتَارُ، وَمَنْ لَا يُوَقِّرُهُ كَانَ مَصِيرُهُ إِلَى النَّارِ[66].

رَمَضَان رَسُول من الله...

قيل مثل هَذَا الشَّهْر كَمثل رَسُول أرْسلهُ سُلْطَان إِلَى قوم فَإِن أكْرمُوا شَأْنه وعظموا مَكَانَهُ وشرفوا مَنْزِلَته وَعرفُوا فضيلته رَجَعَ الرَّسُول إِلَى السلطات شاكرا لأفعالهم، مادحا لأحوالهم، رَاضِيا لأعمالهم، فيحبهم السُّلْطَان على ذَلِك فَيحسن إِلَيْهِم كل الْإِحْسَان.

[66]- بستان الواعظين ورياض السامعين ص:235.




وَإِن استخفوا برعايته، وهونوا لعنايته، وَلم ينزلوه مَنْزِلَته من الْإِكْرَام، وفعلوا بِهِ فعل اللئام، فَيرجع الرَّسُول إِلَى السُّلْطَان وَقد غضب عَلَيْهِم من قَبِيح أفعالهم، وسيء أَعْمَالهم، فيغضب السُّلْطَان لغضبه.

كَذَلِك يغْضب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على من استخف بِحرْمَة شهر رَمَضَان، فيا أَيهَا الْإِنْسَان، هَذَا شهر رَمَضَان، شهر التَّوْبَة والغفران، وَهُوَ رَسُول من عِنْد الْملك الديَّان، فَمن أكْرمه مِنْكُم حَقِيقَة الْإِكْرَام، وَحفظ فِيهِ لِسَانه من قَبِيح الْكَلَام، وبطنه من أكل الرِّبَا وَالْحرَام، وأموال الأرامل والأيتام، غفر لَهُ الْملك العلام، وَأدْخلهُ الْجنَّة مَعَ مُحَمَّد عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام[67].

عن الحسن البصري أنه مرَّ بِقَومٍ وهم يضحكون فقال: إن الله تعالى جعل شهر رمضان مضمارًا لخلقه، يستبقون فيه لطاعته، فسبق قوم ففازوا، وتخلف أقوام فخابوا، فالعجب كل العجب للضاحك اللاعب في اليوم الذي فاز فيه السابقون وخاب فيه المبطلون، أما والله لو كشف الغطاء لاشتغل المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته[68].

فالله الله عباد الله، اغتنموا شهر المتاب، وما وعدكم فيه من جزيل الثواب، ومن العفو عن الأوزار، وعتق الرقاب[69].

67- بستان الواعظين ورياض السامعين ص:240.
68- المرجع السابق ص:237.
69- المرجع السابق ص:218.




اللؤلؤة الثانية: فتحت أبواب الجنة

قوله ﷺ: "فيه تفتح أبواب السماء"، "وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب"

قال القاضي عياض _رحمه الله_: يحتمل أنه على ظاهره وحقيقته.

وقال: يحتمل أن يكون فتح أبواب الجنة عبارة عما يفتحه الله لعباده من الطاعات في هذا الشهر التي لا تقع في غيره عموماً، كالصيام والقيام وفعل الخيرات، والإنكفاف عن كثير من المخالفات وهذه أسباب لدخول الجنة[70]، إذ هي تؤدي إلى فتح أبواب الجنة للعاملين فيه[71].

وأن ذلك كله علامة للملائكة لدخول الشهر وتعظيم حرمته ولمنع الشياطين من أذى المؤمنين، ويحتمل أن يكون إشارة إلى كثرة الثواب والعفو[72].

قال الطيبي _رحمه الله_: فائدة فتح أبواب السماء توقيف الملائكة على استحماد فعل الصائمين، وأنه من الله بمنزلة عظيمة، وفيه إذا علم المكلف ذلك بأخبار الصادق ما يزيد في نشاطه ويتلقاه بأريحية[73].

روى ابن عمر _رضي الله عنهما_ مرفوعاً: "إنَّ الجنة لتزخرفُ لرمضان"[74].

وروى ابن عباس _رضي الله عنهما_ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: "إنَّ الجنة لَتنجَّدُ وتزيَّن من الحول إلى الحول لدخولِ شهر رمضان"[75].

---

[70]- شرح صحيح مسلم للنووي (150/7)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري (607/4)، كنوز رياض الصالحين (48/15).
[71]- كنوز رياض الصالحين (48/15).
[72]- فتح الباري بشرح صحيح البخاري (607/4).
[73]- المرجع السابق (608/4).
[74]- رواه البيهقي في (شعب الإيمان) تناضل العمال شرح فضائل الأعمال (242/3).
[75]- ضعيف: رواه البيهقي في (شعب الإيمان) المرجع السابق (242/3).

ها هي الجنة تزينت للناظرين، فتحت أبوابها، ففاح عَبيرُها، وحان قِطَافُها، دعت كل طائعٍ وكل عاصٍ، بل كل فاجرٍ وباغٍ...

لسان الحال...

أقبل وإن تتابعت الذنوب، أسرع وإن أثقلت الخطايا، بادر وإن أرهقت الشهوات، انهض وإن غلبت الملذات، ابذل فالبخيل كل البخل اليوم من بخل على نفسه بالجنة[76].

ولله درُّكَ يا ابن القيم وأنت تقول في كتابك (الفوائد)[77]:

"اشتر نفسكَ اليومَ، فإن السوقَ قائمةٌ، والثمَنُ موجودٌ، والبضائعُ رخيصةٌ، وسيأتي على تلك السوقِ والبضائعِ يوم لا تصلُ فيه إلى قليلٍ ولا إلى كثير".

[76]- من الطارق أنا رمضان ص:17.

[77]- نقلاً عن كتاب تراتيل رمضانية في فقه القدوم على الله تبارك وتعالى ص:33.




اللؤلؤة الثالثة: غُلِّقَتْ أبواب النار

قوله ﷺ: "وتغلق فيه أبواب الجحيم"، "وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب"

قال ابن حجر _ رحمه الله _:

يحتمل أن يكون غلق أبواب النار عبارة عن صرف الهمم عن المعاصي الآيلة بأصحابها إلى النار[78].

وغلق أبواب جهنم كناية عن تنزه أنفس الصوام عن رجس الفواحش والتخلص من البواعث عن المعاصي بقمع الشهوات[79].

وقد قال تعالى عن أبواب النار وعددها: **﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾.**

فأبشر يا عبد الله...

فأبوابها مغلقة، وطرقها فارغة، فما عليك إلا أن تذود نفسك عن حياض أسواقها، وتقاطع منتجاتها، وتبادر لطاعة ربك لتحجب نفسكَ عنها بمنعها الشهوات، وبالمحافظة على القربات، فالصائمون لله تعالى في نعيم العبادات مستأنسون، وفرحهم بطاعتهم لربِّ الأرض والسماوات مستبشرون.

فلو كشف عنك الحجاب اليوم فاطلعت على أبواب النار لوجدت حولها صحراء شاسعة لا يقفُ عندها أحد[80].

---

[78]- فتح الباري بشرح صحيح البخاري (607/4).
[79]- المرجع السابق (608/4).
[80]- من الطارق أنا رمضان ص:17.

اللؤلؤة الرابعة: صفدت الشياطين

قوله ﷺ: "وتُغَلُّ فيه مردة الشياطين"، "صُفِّدَت الشياطين ومَرَدة الجن" وروى البخاري: "وسُلْسِلَت الشياطين".

"صفدت" شدت بالأصفاد وهي الأغلال وهو بمعنى سلسلت[81].

والمعنى أن الشياطين لا يخلصون فيه في إفساد الناس إلى ما يخلصون إليه في غيره، لاشتغال أكثر المسلمين بالصيام الذي فيه قمع الشهوات، وبقراءة القرآن وسائر العبادات[82].

لما سلسل الشيطان في شهر رمضان وخمدت نيران الشهوات بالصيام انعزل سلطان الهوى وصارت الدولة لحاكم العقل بالعدل فلم يبق للعاصي عذر[83].

قال القاضي عياض _ رحمه الله _: ويكون التصفيد ليمتنعوا من إيذاء المؤمنين والتهويش عليهم.

وقال: يحتمل أن يكون المراد المجاز، أي أن الشياطين يقل إغواؤهم وإيذاؤهم ليصيرون كالمصفدين، ويكون تصفيدهم عن أشياء دون أشياء، ولناس دون ناس[84].

فالشياطين التي كانت تسرح عليك طوال العام تؤذيك وتغويك، فقد أعانك الله عليها اليوم، فقهر مَرَدتها، وسلسل سادتها، ليخمد في الصدر وسواسها، ويخنس في القلب إغوائها[85].

81- فتح الباري بشرح صحيح البخاري (607/4).
82- شعب الإيمان (302/3).
83- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف ص:233.
84- شرح صحيح مسلم للنووي (150/7)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري (607/4).
85- من الطارق أنا رمضان ص:15.




ففي هذا الشهر يؤخذ من إبليس بالثأر، وتستخلص العصاة من أسره فما يبقى لهم عنده آثار، كانوا فراخه قد غذاهم بالشهوات في أوكاره، فهجروا اليوم تلك الأوكار، نقضوا معاقل حصونه بمعاول التوبة والاستغفار، خرجوا من سجنه إلى حصن التقوى والإيمان، فأمنوا من عذاب النار، قصموا ظهره بكلمة التوحيد فهو يشكو ألم الانكسار في كل موسم من مواسم الفضل يحزن، ففي هذا الشهر يدعو بالويل لما يرى تنزل الرحمة ومغفرة الأوزار، غلب حزب الرحمن حزب الشياطين، فما بقي له سلطان إلا على الكفار، عُزل سلطان الهوى، وصارت الدولة لسلطان التقوىٰ، **﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾**[86]-[87].

سؤال يطرح نفسه؟

وقال القرطبي _رحمه الله_: فإن قيل كيف نرى الشرور والمعاصي واقعة في رمضان كثيراً فلو صفدت الشياطين لم يقع ذلك؟

فالجواب: أنها إنما تقل عن الصائمين الصوم الذي حوفظ على شروطه وروعيت آدابه.

أو المصفد بعض الشياطين وهم المردة لا كلهم كما تقدم في بعض الروايات.

أو المقصود تقليل الشرور فيه، وهذا أمر محسوس فإن وقوع ذلك فيه أقل من غيره، إذ لا يلزم من تصفيد جميعهم أن لا يقع شر ولا معصية

86- سورة الحشر الآية:2.

87- لطائف المعارف نقلاً عن كتاب كنوز رياض الصالحين (49/15).




لأن لذلك أسباباً غير الشياطين كالنفوس الخبيثة والعادات القبيحة والشياطين الإنسية[88].

قال السندي في حاشيته على النسائي: يكفي من وجود المعاصي شرارة النفس وخبثها، ولا يلزم أن تكون كل معصية بواسطة شيطان[89].

وقيل: أن المراد أنه تقل الوسوسة بتضييق مجاري الطعام والشراب التي هي مجرى الشيطان، كما في الحديث: "إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم"[90]، وهي تضيق بالصوم، فَيَقِلُّ الوسواس والإغواء لأهل الإيمان ولأهل الصلاح الذين يراعون حرمة الشهر، أما الفساق الذين لا يراعون حرمة الشهر فهؤلاء ليسوا مرادين، إنما المراد من يراعي حرمة الشهر[91].

وقال غيره: في تصفيد الشياطين في رمضان إشارة إلى رفع عذر المكلف كأنه يقال له: قد كُفَّتْ الشياطين عنك فلا تعتل بهم في ترك الطاعة ولا فعل المعصية[92].

---

[88]- فتح الباري بشرح صحيح البخاري (608/4).
[89]- سنن النسائي بشرح الإمامين السيوطي والسندي (583/2).
[90]- رواه البخاري ومسلم وأحمد.
[91]- منحة الملك الجليل شرح صحيح محمد بن اسماعيل (142/3).
[92]- فتح الباري بشرح صحيح البخاري (608/4).

اللؤلؤة الخامسة: نداء المنادي

قوله ﷺ: "وينادي مناد"

قيل: يُحتَملُ أنه مَلَكٌ، أو المرادُ أنَّهُ يُلقي ذلك في قلوب من يريد الله إقبالَهُ على الخير، كذا في قوت المُغْتَذِي[93].

فإن قلت: أي فائدة في هذا النداء مع أنه غير مسموع للناس؟

قلت[94]: قد علم الناس به بإخبار الصادق وبه يحصل المطلوب بأن يتذكر الإنسان كل ليلة بأنها ليلة المناداة فيتعظ بها[95].

قد مدت في هذه الأيام موائد الإنعام للصُوَّام فما منكم إلا من دعيَ: ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾[96]، ويا هِمَمَ المؤمنين اَسْرِعي فطوبى لمن أجاب فأصاب، وويل لمن طرد عن الباب وما دعي[97].

يا غيوم الغفلة عن القلوب تقشعي، يا شموس التقوى والإيمان اطلعي، يا صحائف أعمال الصائمين ارتفعي، يا قلوب الصائمين اخشعي[98].

قوله ﷺ: "يا باغي الخير أقبل"

فإن الوقت والزمان زمن العبادة والطاعة، والمنافسة في اكتساب الخيرات، والمسابقة على الإدراك للطاعات[99].

93- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (505/2).
94- الكلام للسندي على حاشية النسائي (587/2).
95- سنن النسائي بشرح الإمامين السيوطي والسندي (587/2).
96- سورة الأحقاف الآية:31.
97- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف ص:233.
98- المرجع نفسه الصفحة نفسها.
99- تناضل العمال شرح فضائل الأعمال (245/3).

وهو أمر من الإقبال، أي تعال فإنَّ هذا أوانك، تُعطَى الثواب الجزيل بالعمل القليل، أو معناه يا طالب الخير المعرض عنا، وعن طاعتنا أقبل إلينا، وعلى عبادتنا، فإن الخير كُلُّهُ تحت قدرتنا وإرادتنا[100].

قوله ﷺ: "ويا باغي الشر أقصر"

أقصر عن ارتكاب المعاصي والذنوب...

وتُبْ وارجع عنها لعلام الغيوب...

لأنك في عصيانك أهلكتَ نفسَكَ بالعصيان...

وعدم معرفتك بفضل الزمان...

الذي من شأن عقلاء العباد وفضلاء العباد أن يكثروا فيه من فعل الخيرات، من تلاوة القرآن وذكر الرحمن، والصدقة والصلاة، وفعل ما يقربهم إلى الله[101].

[100]- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (505/2).
[101]- تناضل العمال شرح فضائل الأعمال (246/3).




اللؤلؤة السادسة: عتقاء الله

قوله ﷺ: "ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة"

"ولله عتقاء من النار" فلعلك تكون منهم[102].

"وذلك كل ليلة" أي في كل ليلة من ليالي رمضان[103].

ففي كل ليلة ينادي المنادي:

"يا باغي الخير أقبل...

ويا باغي الشر أقصر...

ولله عتقاء من النار"

فافهم ما وراء الحديث من باعث حثيث، وحثٍ لطيف على أن تغتنم الفرصة قبل أن تضيع، وتبذل قصارى جهدك كلَّ ليلة قبل أن يطلع عليك الصبح وأنت من المحرومين، وتسأل نفسك كلَّ ليلةٍ...

هل أُعْتقتُ الليلة أم ليس بعد؟!

وهل نجوت أم لا زلت في الهالكين؟![104].

ولعلَّ طاعةَ المطيعين، وتوبةَ المذنبينَ، ورجوع المقصرين في رمضان من أثر الندائين، ونتيجة إقبال الله تعالى على الطالبين[105].

[102]- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (505/2).
[103]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[104]- من الطارق أنا رمضان ص:24.
[105]- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (505/2).




اللؤلؤة السابعة: ليلة خير من ألف شهر

قوله ﷺ: "لله فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم"

فعن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال: دخل رمضان، فقال رسول الله ﷺ: "إِنَّ هَذَا الشَّهْرَ قَدْ حَضَرَكُمْ، وَفِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَهَا فَقَدْ حُرِمَ الخَيْرَ كُلَّهُ، وَلَا يُحْرَمُ خَيْرَهَا إِلَّا مَحْرُومٌ". رواه ابن ماجه.

لما كانت هذه الأمة تتراوح أعمارها ما بين الستين والسبعين وقليل منهم من يجاوز ذلك أعطاها الله البركة في الأعمال، ومنها ليلة القدر الذي قيامها خير من ألف شهر، فوالله لا يحرم خيرها إلا محروم مخذول[106].

يا من ضاع عمره في لا شيء، استدرك ما فاتك الليلة فإنها تعدل العمر كله، بين يديك الجواهر والدرر، فلا تضيع عمرك في الطين والمدر...

والدرس العظيم هنا: ليست العبرة بطول الأعمار، بل بما تحتويه من أعمال الأبرار، وليس المهم أن تمتد بك الحياة ولكن المهم أن تملأها بالخير[107].

قال في فضلها رسول الله ﷺ: "من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه"[108].

106- أسرار المحبين في رمضان ص:24 بتصريف بسيط.
107- من الطارق أنا رمضان ص:36.
108- صحيح: من الطارق أنا رمضان ص:37.




قال الإمام الرازي _رحمه الله_: واعلم أن من أحياها فكأنما عبد الله تعالى نيفاً وثمانين سنة، ومن أحياها كل سنةٍ فكأنما رُزق أعماراً كثيرة[109].

قال الإمام الشعبي في حق ليلة القدر: ليلها كنهارها.

وقال الشافعي: أستحب أن يكون اجتهاده في نهارها كاجتهاده في ليلها[110].

فاغتنام هذه الليلة لا بد له من إعداد وتجهيز، ويستغرق ذلك أغلب ساعات النهار، حتى إذا ما بدأتْ الليلة لم يُضَيِّع منها شيء، فالفضل اليوم لا يقدر بثمن[111].

عن عائشة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله إن وافقت ليلة القدر ما أقول؟ قال: "قولي: الله إنك عفو تحب العفو فاعفُ عني"[112].

لكن السؤال الذي يطرح نفسه: لماذا سؤال العفو حتى بعد اجتهاد أيام العشر؟

يجيب على هذا السؤال ابن رجب الحنبلي قائلاً: إنما أمر بسؤال العفو في ليلة القدر بعد الاجتهاد في الأعمال فيها وفي ليلة العشر، لأن العارفين يجتهدون في الأعمال ثم لا يرون لأنفسهم عملاً صالحاً ولا حالاً ولا مقالاً، فيرجعون إلى سؤال العفو كحال المذنب المقصر، ولذا يقول يحيى بن معاذ: ليس بعارفٍ من لم يكن غاية أمله من الله العفو[113].

---

[109]- من الطارق أنا رمضان ص:36.
[110]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[111]- المرجع السابق ص:39.
[112]- صحيح.
[113]- من الطارق أنا رمضان ص:40.

الباب الثاني

أحاديث في فضل الصيام

اللؤلؤة الثامنة: غفر له

الحـــديـــــــث الأول:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ"[114].

"من صام.." قال بعضهم: الصيام زكاة البدن، ومن صام الدهر فقد وهب نفسه لله تعالى[115].

"إيماناً" المراد بالإيمان: الاعتقاد بحق فرضية صومه[116]، لا الخوف والاستحياء من الناس من غير اعتقاد بتعظيم هذا الشهر[117].

"احتساباً" أي طلباً للأجر والثواب من الله تعالى[118].

قال الخطابي _رحمه الله_: قوله: "احتساباً" أي نيةً عزيمةً، وهو أن يصومه على معنى الرغبة في ثوابه، طيبةً نفسُه بذلك، غيرُ كارهةٍ له ولا مستثقلٍ لصيامه، ولا مستطيل لأيامه[119]، لكن يغتنم طولَ أيامه لعِظَم الثواب[120].

"غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ" في رواية عند النسائي في (السنن الكبرى) من حديث قتيبة: "وما تأخر"[121].

قوله: "من ذنبه" اسم جنس مضاف، فيعمَّ جميع الذنوب، إلا أنه مخصوص عند الجمهور بالصغائر[122].

114- متفق عليه.
115- المستطرف في كل فن مستظرف ص:21.
116- فتح الباري بشرح صحيح البخاري (609/4).
117- كنوز رياض الصالحين (42/15).
118- تناضل العمال شرح فضائل الأعمال (254/3)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري (609/4).
119- أعلام الحديث للخطابي 169/1، نقلاً عن كتاب تناضل العمال شرح فضائل الأعمال (254/3).
120- شرح السنة (383/3).
121- تناضل العمال شرح فضائل الأعمال (255/3).

ليزف البشرى والقبول لذلك المؤمن الصائم، ولذا أتى بالفعل الماضي "غُفِرَ" وهو يدل على تحقيق وقوع الغفران، واللام في "له" للملكية، وجاء بالفعل الماضي "تَقَدَّم" الذي يتعلق بالذنوب السابقة، وأنها قد مُحيت، و"من" في قوله: "من ذنبه" للتبعيض، وتدل على أنه سيذنب[123].

ورواية: "وما تأخر" أي أنه يُوَفَّق لعملٍ صالحٍ ولتوبةٍ فيما تأخر من ذنوبه[124].

قال النووي _رحمه الله_: إنَّ المكفراتِ إنْ صادَفتْ السَّيِئات تمحوها إن كانت صغائر، وتُخَفِّفُهَا إذا كانت كبائِرَ، وإلَّا تَكُونُ مُوجِبَةً لرفع الدرجات[125].

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ما من عبد صام رمضان في انصات وسكوت، وذكر الله تعالى، وأحل حلاله وحرم حرامه، ولم يرتكب فيه فاحشة، إلا انسلخ من رمضان يوم ينسلخ إلا وقد غفر له ذنوبه كلها[126].

صوم شهر يمحو ذنوب العام

تعب أيام يلغي سيئات العمر

صحو ساعة يورث سعادة الأبد

ألا ما أغلى الهدية ثم أنتم معرضون[127].

122- تناضل العمال شرح فضائل الأعمال (255/3).
123- كنوز رياض الصالحين (40/15).
124- منحة الملك الجليل شرح صحيح محمد بن اسماعيل (144/3).
125- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (506/2).
126- تنبيه الغافلين ص:221.
127- من الطارق أنا رمضان ص:26.




واعلم أن للصوم مراتب أربعة:

المرتبة الأولى: صوم العموم: فهو كَفُّ البطنِ والفرجِ عن قضاء الشهوة[128].

وهو الصوم عن الأكل والشرب والجماع[129].

قال ميمون بن مهران _رحمه الله_: إن أهونَ الصوم تركُ الطعام والشراب[130].

قال بعض السلف _رحمه الله_: لا يكن يوم صوم أحدكم ويوم فطره سواء[131].

قال جابر رضي الله عنه: إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم، ودع أذى الجار، وليكن عليك وقارٌ وسكينةٌ يوم صومك، ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء[132].

المرتبة الثانية: خواص العوام: وهو صوم العوام مع اجتناب المحرمات من قول أو فعل[133].

---

[128]- مختصر منهاج القاصدين ص:46.
[129]- فتح الباري بشرح صحيح البخاري (602/4).
[130]- مجموع الرسائل الإيمانية ص:468، لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف ص:224.
[131]- المرجع نفسه الصفحة نفسها.
[132]- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف ص:224.
[133]- فتح الباري بشرح صحيح البخاري (602/4)، شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك (295/2).

المرتبة الثالثة: وصوم الخصوص: هو كَفُّ النظر واللسان واليد والرِجلِ والسمع والبصر وسائر الجوارح عن الآثام[134]، وهو الصوم عن غير ذكر الله وعبادته[135].

المرتبة الرابعة: وصوم خصوص الخصوص: فهو صوم القلب عن الهمم الدنيئة، والأفكار المبعدة عن الله تعالى، وكفه عما سوى الله تعالى بالكُلِّية[136]...

وهو الصوم عن غير الله فلا فطر لهم إلى يوم القيامة[137].

قال داود الطائي _رحمه الله_: صم عن الدنيا واجعل فطرك الموت[138].

وهذه رتبة الأنبياء والصِدِّيقين والمقربين، ولا يطول النظر في تفصيلها قولاً ولكن في تحقيقها عملاً، فإنه إقبال بِكُنهِ الهمة على الله عز وجل، وانصرافٌ عن غير الله سبحانه[139].

فالدنيا كلها شهر صيام المتقين...

يصومون فيه عن الشهوات المحرمات، فإذا جاءهم الموت فقد انقضى شهر صيامهم، واستهلوا عيد فطرهم[140].

---

[134]- مختصر منهاج القاصدين ص:46، وراجع بيان صوم كل جارحة من كتاب إحياء علوم الدين (1/275_278).
[135]- فتح الباري بشرح صحيح البخاري (4/602).
[136]- مختصر منهاج القاصدين ص:46.
[137]- فتح الباري بشرح صحيح البخاري (4/602).
[138]- بستان رمضان ص:37، لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف ص:211.
[139]- إحياء علوم الدين (1/275).
[140]- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف ص:211.

فمن دام على ذلك وأكثر من الصيام، تعودتْ نفسُه على الالتزام، والانضباط بالأحكام الشرعية والآداب كلّ يومٍ[141].

قال ابن الجوزي: الصوم ثلاثة:

صومُ الروح: وهو قِصَرُ الأمل.

وصومُ العقل: وهو مخالفة الهوى.

وصومُ الجوارح: وهو الإمساك عن الطعام والشراب والجماع[142].

141- مجموع الرسائل الإيمانية ص:468.

142- أسرار المحبين في رمضان ص:33.




اللؤلؤة التاسعة: لا مثل له

الحـــديـــــــــث الثاني:

عن أبـي أمامـة ﷺ قـال: أتيت رسـول الله ﷺ فقلـت: مرنـي بـأمر آخذه عنك، فقال: "عليك بالصوم، فإنه لا مثل له"[143].

فالصوم عبادة السادات، وسادة العبادات[144].

وهو لجام المتقين، وجنة المحاربين، ورياضة الأبرار المقربين[145].

قال بعضُ السلف _رحمه الله_: الصيام معقل من معاقل العابدين[146].

قوله ﷺ: "فإنه لا مثل له" أي الصوم:

في كسر الشهوة، ودفع النفس الأمَّارة والشيطان، أو لا مثل له في كثرة الثواب[147].

ولأنه يقوي القلب والفطنة، ويزيد في الذكاء ومكارم الأخلاق، مع جزيل الثواب المترتب عليه[148].

قال عبد الله بن مسعود ﷺ:

ثلاث من كن فيه ملأ الله قلبه إيماناً: صحبة فقيه، وتلاوة قرآن، والصيام[149].

143- رواه النسائي، رواه البيهقي في (شعب الإيمان) (298/3).
144- رمضان بين يديك ص:35.
145- زاد المعاد في هدي خير العباد (266/1).
146- مجموع الرسائل الإيمانية ص:468.
147- سنن النسائي بشرح الإمامين السيوطي والسندي (635/2).
148- تناضل العمال شرح فضائل الأعمال (227/3).
149- موسوعة الخطباء والمرشدين (555/2).

الحـــديـــــــــث الثالث:

عـن أبــي هريـرة ﷺ أن رسـول الله ﷺ قــال: "كُّـلُّ عمـل ابـن آدم يضـاعف، الحسـنة عَشْـرُ أمثالهـا إلـى سـبعمئةِ ضـعفٍ، قـال الله ﷻ: إلا الصوم، فإنه لي، وأن أجزي بـه يَدَعُ طعامه وشرابه من أجلـي، للصـائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح، وإذا لقي ربه فرح بصومه، لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك"[150].

الحـــديـــــــــث الرابع:

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: قال الله عزوجل: "كل عمل بن آدم له إلا الصيام؛ فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جُنَّةٌ، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث، ولا يصخب، فإن سابّه أحد أو قاتله فليقل: إنـي امرؤ صائم، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح، وإذا لقي ربـه فرح بصومه"[151].

---

[150]- متفق عليه.

[151]- متفق عليه.




اللؤلؤة العاشرة: مضاعفات لا حدود لها

قولـه ﷺ: "كُّلّ عمل ابن آدم يضاعف، الحسنة عَشرُ أمثالها إلى سبعمئةِ ضعفٍ"

قوله: "يضاعف" أي يزاد.

قال الأزهري _رحمه الله_: أقل الضعف محصورٌ في الواحد، وأكثره غيرُ محصور[152].

قوله: "إلى سبعمئة ضعف" اتفق على أنَّ المراد: من سَلِمَ صيامُه من المعاصي[153].

فعن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال: "إن الله ليضاعِفُ الحسنة ألفي ألف حسنة"، ثُمَّ تلا أبو هريرة: **﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾**[154]، فمن يقدر قدره؟"[155].

[152]- تناضل العمال شرح فضائل الأعمال (208/1).
[153]- المرجع نغسه، الصفحة نفسها.
[154]- سورة النساء الآية:40.
[155]- رواه أحمد في المسند، وقال الهيثمي في: "مجمع الزوائد" رواه أحمد بإسنادين، أحد إسنادي أحمد جيد، راجع تناضل العمال شرح فضائل الأعمال (209/1 – 211).




اللؤلؤة الحادية عشر: فإنه لي

قوله ﷺ: "قال الله ﷻ: إلا الصوم، فإنه لي، وأنا أجزي به يَدَعُ طعامه وشرابه من أجلي"

"إلا الصوم" أي إلا الصيام فإنه لا ينحصر تضعيفه في هذا العدد، بل يضاعفه الله عزوجل أضعافاً كثيرة بغير حصر عدد[156].

قال ابن حجر العسقلاني _رحمه الله_: "فإنه لي" وفي رواية: "الصوم لي": أي أنه أحب العبادات إليَّ والمُقَدَّم عندي.

قال ابن عبد البر _رحمه الله_: وكفى بقوله: الصوم لي" فضلاً للصيام على سائر العبادات[157].

قال النووي _رحمه الله_: وفي هذا الحديث بيان عظم فضل الصوم وحث إليه[158].

قال ابن حجر العسقلاني _رحمه الله_: واتفقوا على أن المراد بالصيام هنا صيام من سَلِمَ صيامه من المعاصي قولاً وفعلاً[159].

وقد ذكر العلماء في ذلك عدة وجوه:

أحدهما: أن الصيام هو مجرد ترك حظوظ النفس وشهواتها الأصلية التي جبلت على الميل إليها لله عز وجل، ولا يوجد ذلك في عبادة أخرى غير الصيام، لأن الإحرام إنما يترك فيه الجماع ودواعيه من الطيب دون سائر الشهوات من الأكل والشرب، وكذلك الاعتكاف مع أنه تابع للصيام، وأما الصلاة فإنه وإن ترك المصلي فيها جميع الشهوات إلا أن مدتها لا

156- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف ص:216.
157- فتح الباري بشرح صحيح البخاري (600/4).
158- شرح صحيح مسلم للنووي (25/8).
159- فتح الباري بشرح صحيح البخاري (602/4).

تطول، فلا يجد المصلي فقد الطعام والشراب في صلاته، بل قد نهي أن يصلي ونفسه تشوق إلى طعام بحضرته حتى يتناول منه ما يسكن نفسه ولهذا أمر بتقديم العشاء على الصلاة[160].

الوجه الثاني: إن الصيام سِرٌ بين العبد وربه لا يطلع عليه غيره؛ لأنه مركب من نية باطنة لا يطلع عليها إلا الله، وترك لتناول الشهوات التي يستخفي بتناولها في العادة.

ولذلك قيل: لا تكتبه الحفظة، و قيل: إنه ليس فيه رياء، كذا قاله الإمام أحمد وغيره[161].

الوجه الثالث: سبب إضافته إلى الله تعالى أنه لم يُعْبَد أحدٌ غير الله تعالى به، فلم يعظم الكفار في عصر من الأعصار معبودا لهم بالصيام، وإن كانوا يعظمونه بصورة الصلاة والسجود والصدقة والذكر وغير ذلك[162].

الوجه الرابع: وقيل: إن الاستغناء عن الطعام من صفات الله تعالى، فتقرب الصائم بما يتعلق بهذه الصفة وإن كانت صفات الله تعالى لا يشبهها شيء[163].

فجميع أعمال ابن آدم من باب العبودية والخدمة، فتكون لائقة له مناسبة حاله، بخلاف الصوم فإنه من باب التنزه عن الأكل والشرب والاستغناء عن ذلك، فيكون من باب التخلق بأخلاق الرب تبارك وتعالى[164].

160- تناضل العمال شرح فضائل الأعمال (215/1 – 216).
161- المرجع السابق(217/1).
162- شرح صحيح مسلم للنووي (24/8-25)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري (600/4).
163- شرح صحيح مسلم للنووي (25/8).
164- سنن النسائي بشرح الإمامين السيوطي والسندي (629/2).

قال القرطبي: معناه أن أعمال العباد منسابة لأحوالهم، إلا الصيام فإنه مناسب لصفة من صفات الحق، كأنه يقول: إن الصائم يتقرب إليَّ بأمر هو متعلق بصفة من صفاتي[165].

الوجه الخامس: وقيل: معناه: أنا المنفرد بعلم مقدار ثوابه أو تضعيف حسناته وغيره من العبادات، أظهر سبحانه بعض مخلوقاته على مقدار ثوابها[166].

الوجه السادس: وقيل: هي إضافة تشريف، كقوله تعالى: **﴿نَاقَةَ الله﴾** مع أن العالم كله لله تعالى[167].

قال الله في الحديث: "وأنا أجزي به"

بيان لعظم فضله، وكثرة ثوابه؛ لأن الكريم إذا أخبر بأنه يتولى بنفسه الجزاء اقتضى عظم قدر الجزاء وسعة العطاء[168].

قال صاحب كتاب (المستطرف): وقد يكتفى في فضله (أي فضل الصوم) بهذا الحديث الجليل[169].

قال الحافظ ابن رجب _رحمه الله_: هذا يدل على أن الصيام لا يعلمُ قدر مضاعفة ثوابه إلا الله، لأنه أفضل أنواع الصبر، قال تعالى: **﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾**[170]، والصابرون الصائمون كما

165- فتح الباري بشرح صحيح البخاري (600/4).
166- شرح صحيح مسلم للنووي (25/8).
167- شرح صحيح مسلم للنووي (24/8-25)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري (600/4).
168- فتح الباري بشرح صحيح البخاري (602/4).
169- المستطرف في كل فن مستظرف ص:21.
170- سورة الزمر الآية:10.

في أكثر الأقوال[171]، وقد روي هذا المعنى عن طائفة من السلف منهم: كعب، وغيره[172].

ولذا فقد روي عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ: أنه سمى شهر رمضان شهر الصبر[173].

وورد في حديث عن النبي ﷺ أنه قال: "الصوم نصف الصبر"[174].

الصبر ثلاثة أنواع:

الأول: صبر على طاعة الله ﷻ.

الثاني: صبر عن المحارم.

الثالث: صبر على أقدار الله المؤلمة[175].

وتجتمع الثلاثة كلها في الصوم، فإنَّ فيه صبراً على طاعة الله، وصبراً عمَّا حرم الله على الصائم من الشهوات، وصبراً على ما يحصل من ألم الجوع والعطش، وضعف النفس والبدن، وهذا الألم الناشئ من أعمال الطاعات يثاب عليه صاحبه[176].

171- شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك (295/2).
172- جامع العلوم والحكم، نقلاً عن كتاب تناضل العمال شرح فضائل الأعمال (210/1).
173- رواه أحمد في المسند.
174- رواه الترمذي وقال: حديث حسن.
175- لطائف المعارف نقلاً عن كتاب تناضل العمال شرح فضائل الأعمال (211/1)، تيسير العلام شرح عمدة الأحكام (395/1).
176- لطائف المعارف نقلاً عن كتاب تناضل العمال (211/1).

اللؤلؤة الثانية عشر: فرحتان

قوله ﷺ: "للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح، وإذا لقي ربه فرح بصومه"

"إذا أفطر فرح" أي فرح بفطره لزوال جوعه وعطشه، حيث أبيح له الفطر، وهذا فرح طبيعي[177].

أو من حيث إتمام صومه، وخاتمة عبادته، مع ملاحظة توفيقه للصيام، وإعانته عليه، وخاتمة عبادته، وتخفيف من ربه، ومعونة على مستقبل صومه، ولا ريب أن فرح كل أحد بحسبه، لاختلاف مقامات الناس في ذلك[178].

فالصائم ترك شهواته لله بالنهار تقرباً إليه وطاعة له، وبادر إليها بالليل تقرباً إلى الله وطاعة له، فما تركها إلا بأمر ربه، ولا عاد إليها إلا بأمر ربه، فهو مطيع له في الحالين[179].

قال الإمام الغزالي _رحمه الله_: ولا بد للصائم بعد فطره أن يكون قلبه بعد الإفطار معلقاً مضطرباً بين الخوف والرجاء، إذ ليس يدرى أيقبل صومه فهو من المقربين؟ أو يرد عليه فهو من الممقوتين؟ وليكن كذلك في آخر كل عبادة يفرغ منها[180].

ولا بد أن يكون فطره على حلال، فإن كان فطره على حرام كان ممن صام عما أحل الله، وأفطر عما حرم الله[181].

177- تناضل العمال شرح فضائل الأعمال (212/1)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري (613/4).
178- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
179- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف ص:225.
180- إحياء علوم الدين (277/1).
181- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف ص:226.




قوله ﷺ: "وإذا لقي ربه فرح بصومه"

فإذا لقيَ ربَّه ﷻ يومَ القيامة فرح بصومه لما يرى من عظيم جزاءه، وفخيم ثوابه[182]، ويتذكر نعمة الله تعالى عليه بتوفيقه لذلك[183]، أو بلقاء ربه، وعلى الاحتمالين فهو مسرور[184].

قال ابن رجب _ رحمه الله_[185]: وأما فرحه عند لقاء ربه فيما يجده عند الله من ثواب الصيام مدخراً، فيجده أحوج ما كان إليه، كما قال تعالى: **﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً﴾**[186].

وقال تعالى: **﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً﴾**[187].

وقال تعالى: **﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ۞ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾**[188].

وقال الله تعالى: **﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾**[189]، قال مجاهد وغيره: نزلت في الصائمين[190].

قال وكيع _رحمه الله_: أنها أيام الصيام تركوا فيها الأكل والشرب[191].

قال يعقوب بن يوسف الحنفي[192]: بلغنا أن الله تعالى يقول لأوليائه يوم القيامة: يا أوليائي طالما نظرت إليكم في الدنيا وقد قلصت شفاهكم

182- تناضل العمال شرح فضائل الأعمال (212/1).
183- شرح صحيح مسلم للنووي (26/8).
184- تناضل العمال شرح فضائل الأعمال (212/1).
185- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف ص:226.
186- سورة المزمل الآية:20.
187- سورة آل عمران الآية:30.
188- سورة الزلزلة الآية:7.
189- سورة الحاقة الآية:24.
190- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف ص:227.
191- المستطرف في كل فن مستظرف ص:20.

عن الأشربة، وغارت أعينكم، وجفت بطونكم، كونوا اليوم في نعيمكم وتعاطوا الكأس فيما بينكم، و **﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾**[193].

قال بعض السلف _رحمه الله_: بلغنا أنه يوضع للصُّوام مائدة يأكلون عليها والناس في الحساب، فيقولون: يا رب نحن نحاسب وهم يأكلون؟! فيقال: طالما صاموا وأفطرتم، وقاموا ونمتم[194].

فأين أصحاب باب الريان..

هذا يومُ فرحةِ لقاء ربكم...

يومَ صُمتُم مخلصين، متعبِّدين متذلِّلين...

ها أنتم اليومَ في فرحةٍ كبرى، وسعادةٍ عظمى...

تلقونَ ربَّكُم ليجزيكُم أحسنَ الجزاءِ، ويُعطِهِم لكم خَيرَ العطاء...

فهنيئاً لمن صام يَومَه في مرضاة الله[195].

---

[192]- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف ص:227.

[193]- سورة الحاقة الآية:24.

[194]- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف ص:228.

[195]- تراتيل رمضانية في فقه القدوم على الله تبارك وتعالى ص:50.




اللؤلؤة الثالثة عشر: ريح المسك

قوله ﷺ: "لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك"، "والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك"

"والذي نفسي بيده" والحَلْفُ يكون إما لأهمية المحلوف عليه، فيريد المتكلم أن يؤكده، وإما لشك المخاطب، وإما لإنكاره، فهو لا بد له من باعث، وإلا فالحلف بدون باعث له لَغْوٌ من القول، لأنه زيادة كلام وليس له فائدة[196].

"ولخلوف فم الصائم" رائحة ما يتصاعد منه من الأبخرة لخلو المعدة من الطعام بالصيام، وهي رائحة مستكرهة في مَشَام الناس في الدنيا، لكنها طيبة عند الله حيث كانت ناشئة عن طاعته وابتغاء مرضاته[197].

"أطيب عند الله"

قال مكحول _رحمه الله_: يروح أهل الجنة برائحة فيقولون: ربنا ما وجدنا ريحا منذ دخلنا الجنة أطيب من هذه الريح فيقال: هذه رائحة أفواه الصوام[198].

قال القاضي _رحمه الله_: قيل: يجازيه الله تعالى به في الآخرة، فتكون نكهته أطيب من ريح المسك، كما أن دم الشهيد يكون ريحه ريح المسك[199].

196- شرح صحيح مسلم لابن عثيمين (124/4).
197- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف ص:231.
198- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
199- شرح صحيح مسلم للنووي (25/8).




قال ابن حجر العسقلاني _رحمه الله_: يؤخذ من قوله: "أطيب من ريح المسك"...

أن الخلوف أعظم من دم الشهادة لأن دم الشهيد شبه ريحه بريح المسك، والخلوف وُصِفَ بأنه أطيب، ولا يلزم من ذلك أن يكون الصيام أفضل من الشهادة لما لا يخفى، ولعل سبب ذلك النظر إلى أصل الخلوف طاهر وأصل الدم بخلافه، فكان ما أصله طاهر أطيب[200].

وقيل: رائحته عند ملائكة الله تعالى أطيب من رائحة المسك عندنا، وإن كانت رائحة الخلوف عندنا خلافه.

قال البغوي _رحمه الله_: كونه "أطيب عند الله من ريح المسك"

الثناء على الصائم والرضا بفعله، لئلا يمنعه من المواظبة على الصوم الجالب للخلوف، كأنه قال: إنَّ خلوفَ فم الصائم أبلغُ في القبول عندَ الله من ريح المسك عندكم[201].

والأصح ما قاله الداوري من المغاربه وقاله من قاله من أصحابنا: أن الخلوف أكثر ثواباً من المسك، حيث ندب إليه في الجمع والأعياد ومجالس الحديث والذكر وسائر مجامع الخير[202].

وقد نقل القاضي حسين في تعليقه:

أن للطاعات يوم القيامة ريحاً تفوح...

قال: فرائحة الصيام فيها بين العبادات كالمسك[203].

200- فتح الباري بشرح صحيح البخاري (598/4).
201- شرح السنة (385/3).
202- شرح صحيح مسلم للنووي (25/8).
203- فتح الباري بشرح صحيح البخاري (597/4).

كما في الحديث عن الحارث الأشعري ﷺ أن النبي ﷺ قال: "إن الله عز وجل أمر يحيى بن زكريا عليه السلام بخمس كلمات أن يعمل بهنّ، وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهنّ، فكاد أن يبطئ، فقال له عيسى: إنك قدْ أُمِرْتَ بخمسِ كلماتٍ أن تعمل بهنّ، وأن تأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهنّ، فإما أن تبلغهنّ، وإما أبلغهنّ، فقال له: يا أخي! إني أخشى إن سبقتني أن أُعذّب أو يُخسف بي، قال: فجمع يحيى بني إسرائيل في بيت المقدس، حتى امتلأ المسجد، وقعد على الشُرَف، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن الله عز وجل أمرني بخمسِ كلماتٍ أن أعمل بهنّ، وآمركم أن تعملوا بهنّ... وذكر منهنّ: وآمركم بالصيام، فإن مثل ذلك كمثل رجل معه صرّة من مسك في عصابة، كلهم يجد ريح المسك، وإن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك"[204].

وقد تفوح رائحة الصيام في الدنيا وتستنشق قبل الآخرة وهو نوعان:

أحدهما: ما يدرك بالحواس الظاهرة، كان عبد الله بن غالب من العباد المجتهدين في الصلاة والصيام، فلما دفن كان يفوح من تراب قبره رائحة المسك، فرؤي في المنام فسئل عن تلك الرائحة التي توجد من قبره فقال: تلك رائحة التلاوة والظمأ.

والنوع الثاني: ما تستنشقه الأرواح والقلوب فيوجب ذلك للصائمين المخلصين المودة والمحبة في قلوب المؤمنين[205].

لما كان أمر المخلصين بصيامهم لمولاهم سراً بينه وبينهم أظهر الله سرهم لعباده، فصار علانية فصار هذا التجلي والإظهار جزاء لذلك الصون والإسرار[206].

---

[204]- رواه أحمد.

[205]- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف ص:231.

[206]- المرجع السابق ص:232.




اللؤلؤة الرابعة عشر: الصيام جنة

قوله ﷺ: "والصيام جُنَّةٌ"

فعن عثمان بن عفان ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "الصيام جُنّة من النار، كجنّة أحدكم من القتال"[207].

وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: "الصيام جنّة وحصن حصين من النار"[208].

"جُنَّةٌ" بضم الجيم وتشديد النون، أي: وقاية وسترة[209]، والجُنَّةُ: ما يَتَّقِي به المقاتل السهام[210].

قيل: "جُنَّةٌ" من النار، لأنه إمساك عن الشهوات والنار محفوفة بها[211].

وقيل: "جُنَّةٌ" من المعاصي، لأنه يكسر الشهوة ويضعفها، فلا يواقع المعاصي[212].

ولذا قيل: إنه لجام المتقين، وجنة المحاربين، ورياضة الأبرار المقربين[213].

207- رواه ابن ماجه.
208- رواه أحمد، والبيهقي في (شعب الإيمان) (289/3).
209- تناضل العمال شرح فضائل الأعمال (219/1).
210- شرح صحيح مسلم لابن عثيمين (123/4).
211- تناضل العمال شرح فضائل الأعمال (219/1).
212- تناضل العمال شرح فضائل الأعمال (219/1)، شرح السنة (385/3).
213- شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك (290/2).

وفيه تلازم الأمرين، لأنه إذا كف نفسه عن المعاصي في الدنيا، كان ستراً له من النار[214]، فهو جُنَّةٌ يقي صاحبه في الدنيا من الآثام، ويقي صاحبه من النار يوم القيامة، فهو جُنَّةٌ في الدارَيْن[215].

قال ابن عبد البر _ رحمه الله _: حسبك لكونه جنة من النار فضلاً[216].

والمقصود: أن مصالحَ الصومِ لمَّا كانت مشهودةً بالعقول السليمةِ، والفِطَرِ المستقيمة، شرعه اللهُ لعباده رحمة بهم، وإحسانًا إليهم، وحِميةً لهم وجُنَّةً[217].

[214]- تناضل العمال شرح فضائل الأعمال (219/1)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري (594/4).
[215]- شرح صحيح مسلم لابن عثيمين (123/4).
[216]- شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك (291/2).
[217]- زاد المعاد في هدي خير العباد (266/1).




اللؤلؤة الخامسة عشر: لا يرفث ولا يصخب

قولـه ﷺ: "وإذا كـان يـوم صـوم أحـدكم فـلا يرفث، ولا يصـخب، فـإن سابّه أحد أو قاتله فليقل: إني امرؤ صائم"

وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا أصبح أحدكم يوماً صائماً فلا يرفث ولا يجهل، فإن امرؤٌ شاتمه أو قاتله فليقل إني صائمٌ إني صائمٌ"[218].

قال النووي _رحمه الله_: واعلم أن نهي الصائم عن الرفث والجهل والمخاصمة والمشاتمة ليس مختصاً به، بل كل أحد مثله في أصل النهي عن ذلك، لكن الصائم آكد، والله أعلم[219].

ونقل السيوطي في حاشيته على سنن النسائي: قول القرطبي: فينبغي للصائم أن يصون صيامه مما يفسده وينقص ثوابه[220].

فآداب الصوم تجعل الصائم حريصاً على التخلق بالأخلاق الحسنة حتى لا يفسد صومه...

فيحبس لسانه عن اللغو، والسباب والانطلاق في أعراض الناس، والسعي بينهم بالغيبة والنميمة المفسدة...

كما يردعه عن الغش والخداع والتطفيف والمكر وارتكاب الفواحش، وأخذ الربا والرشا، وأكل أموال الناس بالباطل[221].

---

[218]- رواه مسلم.
[219]- شرح صحيح مسلم للنووي (23/8).
[220]- سنن النسائي بشرح الإمامين السيوطي والسندي (631/2).
[221]- كنوز رياض الصالحين (15/15).

ولله درٌّ من قال:

إذا لم يكن في السَّمع من تصاونٌ وفي بصري غضٌ وفي منطقي صمتُ
فحظِّي من صومي الجوع فإن قلت إني صُمتُ يومي فما صُمتُ[222]

وقد نبهتنا الأحاديث على أمرين عظيمين:

أحدهما: زيادة قبحها في الصوم على غيرها.

والثاني: البحث على سلامة الصوم عنها، وأن سلامته منها صفة كمال فيه، فمقتضى ذلك أن الصوم يكمل بالسلامة منها، قال: فإذا لم يسلم عنها نقص[223].

إني صائم

قوله ﷺ: "فليقل إني صائمٌ إني صائمٌ"

أي: إني أودعت لساني لأحفظه فكيف أطلقه بجوابك؟[224].

وقال في العلم المشهور: أي صومي يمنعني من مجاوبتك، لأني أصون صومي عن الخنا والزور من القول، فبهذا أمرت، ولولا ذلك لانتصرت لنفسي بمثل ما قلت لي[225].

قال القرطبي _رحمه الله_: لا يفهم من هذا أن غير يوم الصوم يباح فيه ما ذكر، وإنما المراد أن المنع من ذلك يتأكد بالصوم[226].

[222]- تراتيل رمضانية في فقه القدوم على الله تبارك وتعالى ص:52.
[223]- فتح الباري بشرح صحيح البخاري (4/611-612).
[224]- إحياء علوم الدين (1/278).
[225]- فتح القريب المجيب على الترغيب والترهيب (5/634).




قال في المصابيح[227]: الظاهر أن هذا القول علة لتأكيد المنع، فكأنه يقول لِخَصْمِه: إني صائم تحذيراً وتهديداً بالوعيدِ المتوجهِ على من انتهكَ حرمة الصائم، وتذرَّع إلى تنقيص أجره بإيقاعه في المشاتمة، أو بذكر نفسه تشديد المنع المعلل بالصوم. اهـ

وهنا نتعرض لسؤال مهم جداً وهو: هل يقول الصائم إن سابَّهُ أحد "إني صائم" في نفسه سراً، أو يقولها جهراً؟

قال علماؤنا: إن شُتِمَ الصائم سُنَّ قوله جهراً في رمضان: إني صائم، لأمنه من الرياء، وفيه زجر مَنْ شاتَمَه لأجل حرمة الوقت، وفي غير رمضان يقوله سراً يزجر نفسه بذلك خوف الرياء[228].

قال الشيخ ابن عثيمين _رحمه الله_: لكن الصواب أنه يقوله جهراً سواء كان الصوم فرضاً أو نفلاً لعموم الحديث[229].

وقال البغوي في شرح السنة[230]: في قوله: "إني صائم" يتأول على وجهين:

أحدهما: يقول ذلك لصاحبه نطقاً، يرده بذلك عن نفسه.

والآخر: أن يقول ذلك في نفسه، أي ليتفكر أنه صائم، فلا يخوض معه، ولا يكافئه على شتمه، لئلا يحبط أجر عمله، وثواب صومه. اهـ

226- فتح الباري بشرح صحيح البخاري (595/4).
227- نقلاً عن كتاب شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك (292/2).
228- تناضل العمال شرح فضائل الأعمال (2/1).
229- شرح صحيح مسلم لابن عثيمين (119/4).
230- (387/3).

وأضاف الشيخ ابن عثيمين _ رحمه الله _ أيضاً: أن يُبيِّن لهذا المقاتل السَّابْ أن من آداب الصيام ألا يقابل الإنسان من أساء إليه بمثل إساءته، فيكون في هذا تربية لهذا المقاتل المشاتم[231].

ما حظك من الصيام

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ"[232].

واعلم أنه لا يتم التقرب إلى الله تعالى بترك هذه الشهوات المباحة في غير حالة الصيام إلا بعد التقرب إليه بترك ما حرمه الله في كل حال من الكذب والظلم والعدوان على الناس في دمائهم وأموالهم وأعراضهم[233].

وفي الحديث: التحذير من المعاصي، وهذا يشمل قول الزور والعمل به، والسباب والمعاصي، والرشوة والتعامل بالربا، والعدوان على الناس في الدماء والأعراض وغير ذلك، فمن لم يدع هذه الأشياء فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه، فكيف يتقرب إلى الله بترك المباحات من الطعام والشراب وهو لا يترك المحرومات التي حرمت في كل وقت، ويفعل الكبائر من سرقة وغيرها؟! فما قيمة هذا الصوم؟ هذا صوم ضعيف لا يقوى على تكفير السيئات ورفع الدرجات[234].

قال ابن بطال _ رحمه الله _: ليس معناه (أي معنى الحديث) أنه يؤمر بأن يدع صيامه، وإنما معناه التحذير من قول الزور وما ذكر معه[235].

---

[231]- شرح صحيح مسلم لابن عثيمين (119/4).
[232]- رواه البخاري.
[233]- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف ص:223.
[234]- منحة الملك الجليل شرح صحيح محمد بن اسماعيل (147/3).
[235]- عون المعبود شرح سنن أبي داود (392/6).




قال العلماء: الصائم المزور الكذاب ونحوه صومه في حكم العدم مع اسقاط الفرض عنه.

وقيل: الحديث كناية عن عدم قبول الصوم[236].

وتعال معي أخي الحبيب لنقرأ معاً وسوياً حديث رسول الله ﷺ بعيني قلبك قبل عيني رأسك، وببصيرتك قبل بصركَ، واستشعر أنك تسمعه بأذنيك من فَمِ رسول الله ﷺ.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "رُبَّ صَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ، وَرُبَّ قَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ قِيَامِهِ السَّهَرُ"[237].

قال البيضاوي _رحمه الله_: ليس المقصود من شرعية الصوم نفس الجوع والعطش، بل ما يتبعه من كسرِ الشهواتِ، وتطويعِ النفسِ الأمارة للنفس المطمئنة، فإذا لم يحصل ذلك لا ينظر الله إليه نظر القبول[238].

وإذا كانت حكمة الصوم هي التهذيب والتأديب والتربية فإنه لا صوم لمن يدع الطعام والشراب ولا يدع قول الزور والفحش والسباب[239].

ولذلك قال بعض العلماء: كم من صائم مفطر وكم من مفطر صائم، والمفطر الصائم هو الذي يحفظ جوارحه عن الآثام ويأكل ويشرب، والصائم المفطر هو الذي يجوع ويعطش ويطلق جوارحه[240].

فينبغي للمؤمن أن يعلم حقيقة الصوم، وهي: الامتناع عن كل ما يبعد العبد من ربه تبارك وتعالى، وليس مجرد الامتناع عن الطعام

236- فتح العلام بشرح وتحقيق بلوغ المرام ص:304.
237- رواه أحمد.
238 _ فتح الباري بشرح صحيح البخاري (611/4).
239- كنوز رياض الصالحين (15/16-17).
240- إحياء علوم الدين (278/1).

والشراب[241]، وتجويع النفس، بل هو خطوةٌ في تدريب النفس على الإقلاع عن كل الرذائل والمحرمات[242].

وذلك حقيقة الصوم... فله تأثير عجيب في حفظ الجوارح الظاهرة، والقوى الباطنة، وحَمِّيَتُها عن التخليط الجالب لها المواد الفاسدة التي إذا استولت عليها أفسدتها، واستفراغ المواد الرديئة المانعة لها من صحتها، فالصوم يحفظ على القلب والجوارح صحتها، ويعيد إليها ما استلبته منها أيدي الشهوات، فهو من أكبر العون على التقوى[243].

لذا فاعلم أن الصوم أمانة

فعَنْ ابن مسعود ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إنَّ الصومَ أمانةٌ فليحفظ أحَدُكُم أمَانَتَهُ"[244].

وعن أبو سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال: "من صام رمضانَ وعرف حدودَه وتحفَّظ ممَّا ينبغي له أن يتحفَّظَ كفَّر ما قبله"[245].

241- مجموع الرسائل الإيمانية ص:468.

242- التجديد في الفكر الإسلامي ص:221.

243- تفسير القاسمي (2/54_55).

244- أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق واسناده حسن، راجع إحياء علوم الدين (278/1)، صحيح وصايا الرسول ﷺ شرح 200 وصية (480/1).

245- فتح الباري بشرح صحيح البخاري (603/4)، البيهقي (شعب الإيمان) (310/3).




اللؤلؤة السادسة عشر: باب الريان

الحـــديـــــــث الخامس:

عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "إنَّ في الجنّة باباً يُقال له الريّان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحدٌ غيرهم، يقال: أين الصائمون؟ فيقومون لا يدخل منه أحدٌ غيرُهم، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحدٌ"[246]. وزاد ابن خزيمة في صحيحه: "فإذا دخل آخرهم أُغلق، من دخل فيه شرب، ومن شرب لم يظمأ أبداً".

قوله ﷺ: "إن في الجنة باباً"

قال الزين بن المنير _رحمه الله_: إنما قال: "في الجنة" ولم يقل: للجنة ليشعر بأن في الباب المذكور من النعيم والراحة في الجنة فيكون أبلغ في التشويق إليه[247].

ومجرد ذكر اسم هذا الباب يبعث في القلب الراحة، فكيف إذا دخل منه العبد إلى نعيم الجنة الأبدي ليذهب معنى التعب إلى مجاهل النسيان إلى غير رجعة[248].

قوله ﷺ: "يُقال له الريّان"

والريان نقيض العطشان، وهو مما وقعت المناسبة فيه بين لفظه ومعناه، فإنه مشتق من الرَّي، وهو مناسب لحال الصائمين، لأنهم بتعطيشهم أنفسَهم في الدنيا يدخلون من باب الريان، ليأمنوا من العطش[249].

246- رواه البخاري.
247- فتح الباري بشرح صحيح البخاري (604/4)، تناضل العمال شرح فضائل الأعمال (225/3).
248- من الطارق أنا رمضان ص:31.
249- تناضل العمال شرح فضائل الأعمال (224/3).




واكتفى بذكر الريِّ، عن الشبع لأنه يدل عليه من حيث أنه يستلزمه، قال الحافظ _رحمه الله_: أو لأنه أشق على الصائم من الجوع[250].

فإن قيل: من المعلوم أن الجنة لا عطش فيها، وأن الري شامل لجميع أهلها، فما وجه اختصاص الصائمين؟

قلنا: الصائمين يحصل لهم الري قبل حصوله لغيرهم لعطشهم في الهواجر[251].

وقيل: المعنى أن أهل الصيام بتعطيشهم أنفسهم في الدنيا يدخلون من باب الريان ليأمنوا من العطش قبل تمكنهم في الجنة[252].

---

[250]- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (592/2)، فتح القريب المجيب على الترغيب والترهيب (659/5).
[251]- فتح القريب المجيب على الترغيب والترهيب (659/5).
[252]- مشارق الأنوار على صحاح الآثار نقلاً عن كتاب فتح القريب المجيب على الترغيب والترهيب (660/5).




اللؤلؤة السابعة عشر: منجاة من الفتن

الحـــديــــــــث السادس:

عن حذيفة بن اليمان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره، تكّفرها الصلاة، والصوم، والصدقة، والأمر والنهي"[253].

عن أبي هريرة ﷺ قال: أن رسول الله ﷺ: "الصَّلَواتُ الخَمْسُ، والجُمُعةُ إِلى الجُمُعَةِ، كفَّارةٌ لِمَا بَيْنهُنَّ، مَا لَمْ تُغش الكبَائِرُ"[254].

فإذا اجتنب الإنسان الكبائر وأدى الفرائض كَفَّرَ الله عنه الصغائر[255].

[253]- متفق عليه.
[254]- رواه مسلم، والبيهقي (شعب الإيمان) (308/3).
[255]- منحة الملك الجليل شرح صحيح محمد بن اسماعيل (137/3).




اللؤلؤة الثامنة عشر: شفيع من الشفعاء

الحـــديـــــــث السابع:

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "الصيام والقرآن يشفعانِ للعبدِ يومَ القيامة، يقولُ الصيامُ: أي ربِّ، منعته الطعام والشهوات بالنهار، فشفعني فيه، ويقولُ القرآنُ: منعته النوم بالليل، فشفعني فيه، فيشفعان"[256].

إذا كان شهر رمضان في القيامة شفيعاً، فكن لمولاك فيه عبداً سامعاً مطيعاً، وليكن قلبك عن معصيته رفيعاً[257].

ونرى هنا ترابطاً وثيقاً بين الصيام والقرآن، كيف لا وصوم رمضان ما هو إلا إحياء سنوي مجيد لذكرى نزول القرآن الكريم، وهو أعظم آيات الشكر لله على امتنانه بهذه النعمة الجليلة، ولذلك كان الرسول ﷺ يُعنى بتعظيم هذا الشهر والاحتفال به بكثرة العبادة، وبذل كل مجهوده في شكر المنعم على ما أنعم به عليه وعلى أمته، وكان يكثر فيه من البر والإحسان وتلاوة القرآن، يعرضه على جبريل أمين الوحي عليه السلام، وهذا هو أحسن المثل في إحياء الذكريات وتمجيد الصالحات[258].

---

[256]- رواه أحمد.

[257]- بستان الواعظين ورياض السامعين ص:228.

[258]- مقالات الإسلاميين في شهر رمضان الكريم ص:78.




اللؤلؤة التاسع عشر: رفعة في الدرجات

الحـــديـــــــــث الثامن:

عن طلحة بن عبيد الله ﷺ: أنَّ رَجُلَينِ قَدِما على رَسولِ اللهِ ﷺ، وكان إسلامُهما جَميعًا، وكان أحَدُهما أشَدَّ اجتِهادًا مِن صاحِبِه، فغَزا المُجتَهِدُ منهما، فاستُشهِدَ، ثم مَكَثَ الآخَرُ بَعدَه سَنةً، ثم تُوُفِّيَ، قال طَلحةُ: فرأيتُ فيما يَرى النَّائِمُ كأنِّي عِندَ بابِ الجَنَّةِ إذا أنا بهما وقد خرَجَ خارِجٌ مِنَ الجَنَّةِ، فأذِنَ للذي تُوُفِّيَ الآخِرَ منهما، ثم خَرَجَ فأذِنَ للذي استُشهِدَ، ثم رَجَعا إليَّ فقالا لي: ارجِعْ؛ فإنَّه لم يَأْنِ لكَ بَعدُ، فأصبَحَ طَلحةُ يُحدِّثُ به النَّاسَ، فعَجِبوا لذلك، فبلَغَ ذلك رَسولَ اللهِ ﷺ، فقال: "مِن أيِّ ذلك تَعجَبونَ؟" قالوا: يا رَسولَ اللهِ، هذا كان أشَدَّ اجتِهادًا، ثم استُشهِدَ في سَبيلِ اللهِ، ودخَلَ هذا الجَنَّةَ قَبلَه، فقال: "أليس قد مَكَثَ هذا بَعدَه سَنةً؟" قالوا: بلى، "وأدرَكَ رَمَضانَ فصامَه؟" قالوا: بلى، "وصلَّى كذا وكذا سَجدةً في السَّنةِ؟" قالوا: بلى، قال رَسولُ اللهِ ﷺ: "فلَمَا بَينَهما أبعَدُ ما بَينَ السَّماءِ والأرضِ"[259].

إن بلوغ شهر رمضان وصيامه نعمةٌ عظيمة على من أقدره الله عليه، ومن حرم من رمضان فهو المحروم[260]، ومن لم يتزود فيه لمعاده فهو ملوم[261].

[259]- رواه أحمد بإسناد صحيح.
[260]- أسرار المحبين في رمضان ص:43.
[261]- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف ص:213.




حذار حذار يا غالي

الحديث التاسع

عن أبي هريرة ﷺ قال: إن النبي ﷺ قال: "أتاني جبريلُ فقال: يا محمد مَنْ أدركَ شهرَ رمضان فمات فلم يُغفر له فأدخل النار فأبعده الله، قُلْ: آمين، فقلتُ: آمين"[262].

وفي رواية: "... رغمَ أنفُ رَجلٍ دَخلَ عليه رَمَضَان ثم انسلخ قبل أي يُغفر له.."[263].

قوله ﷺ: "رغم أنف"

أي لصق أنفه بالتراب كنايةً عن حصولِ غاية الذل والهوان، وذلك لأنه فرط في حق نفسه حتى مضى الشهر ورحل.

والمعنى: اغتنم هذا الشهر يرفعك الله ويعزك، وإلا غرقت في بحر الهوان[264].

أخي... إن لم يحيا القلبُ في رمضان فمتى يحيا؟! ومتى تبرأ الروح من دائِها إن لم يكن ذلك في شهر الشفاء؟! ويل لمن نزلَ أرض المغفرة ولم يخرج منها بسهم، ويل لمن شهد موسم الأرباح ولم يظفر من الجنة بقصر، ويل لمن حضر سوق الرحمات فنام والسوق سينفض آخر الشهر، ويل له... ثم ويل له[265].

---

[262]- صحيح.
[263]- صحيح.
[264]- من الطارق أنا رمضان ص:83.
[265]- المرجع السابق ص:9.




تم بحمد الله تعالى الانتهاء منه عقب أذان العصي من يوم الثلاثاء
12 / شعبان / 1443 الموافق 15 / مارس / 2022

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الباب الثاني: